غيبوبة ضمير

طارق النجار

غيبوبة ضمير / رواية
طارق النجار
الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان ، المرج
موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣
dar_oktob@gawab.comE – mail :
المدير العام :
يحيى هاشم
تصميم الغلاف :
عبد الرحمن حافظ
تدقيق لغوي :
سارة سرحان
رقم الإيداع : ٢٠١١٤/٢٠١٠
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٥٢- ٠

غيبوبة ضمير

رواية

طارق النجار

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

ما بين شراييني وكرات دمي يتدفَّق حبُ أمي فهي طبيبتي التي تقاسمني ألمي وكنز راضائها عني قمة النِّعَمِ.. إليها أهدي هذا المجهود الفكري.

وإلى حبيبتي وملهمتي.. ذات الأعين الخضراء والشعر الأصفر.. والتي كنت أرى فيها الحبيبة والصديقة والشقيقة.. وأحيانًا الابنة والتي أشعر في فراقها أن الشوق قد أنبت أجنحتي.. لكنني طائرٌ مقيد القدم.. فلا حُلمي يساعدني ولا أملي مني يمضي.

إليهما أهدي هذه السطور.. شكرًا لهما وخجلًا منهما لأنني لا أملك غيرها.

طارق النجار

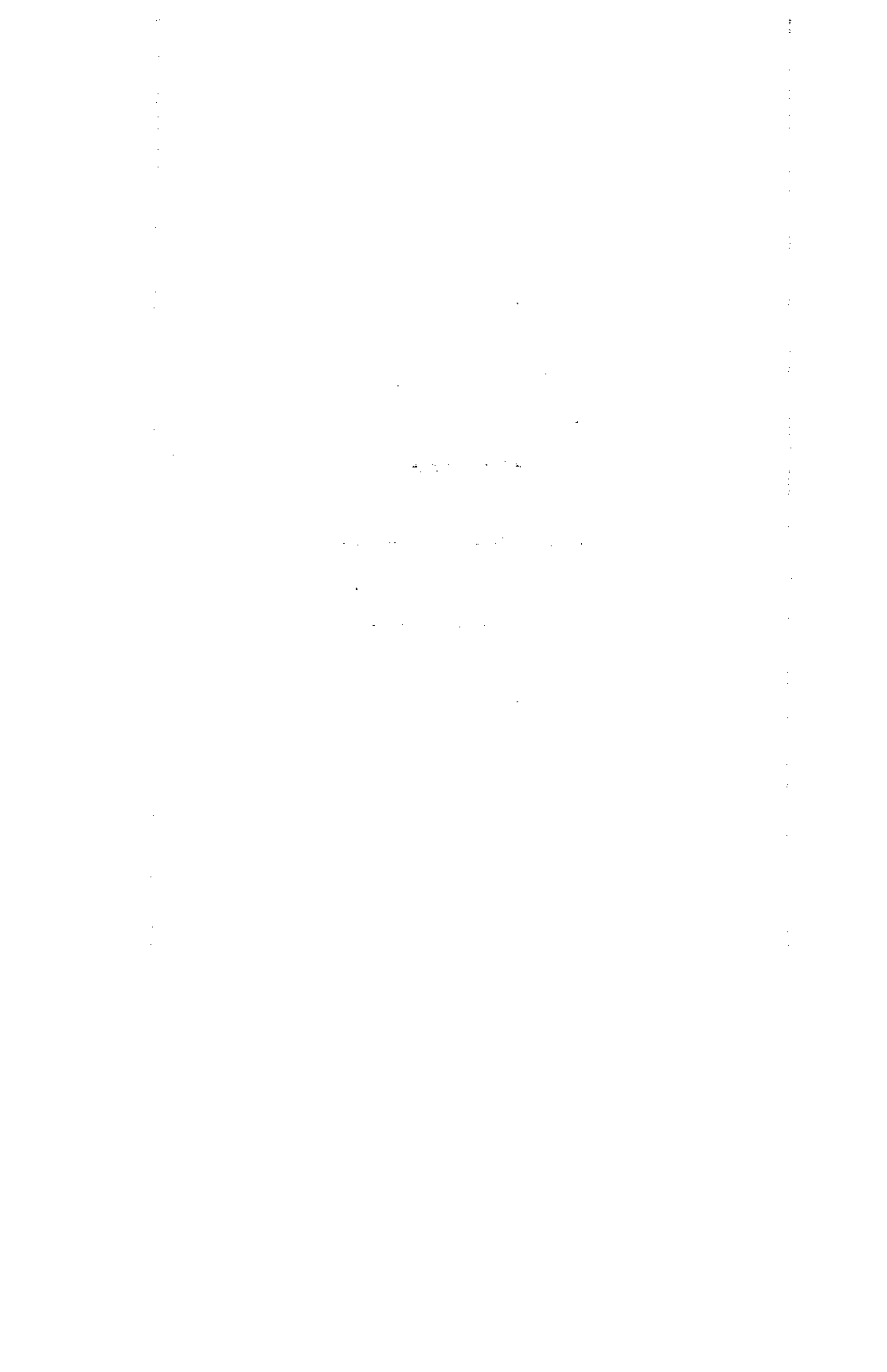
"وَلْيَخشَ الذِّينَ لَو تَرَكُواْ مِن خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُواْ عَلَيهِم فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَ لِيَقُولُواْ قَولاً سَدِيداً " [النساء: ٩]

صدق الله العظيم

الرجالُ مواقف

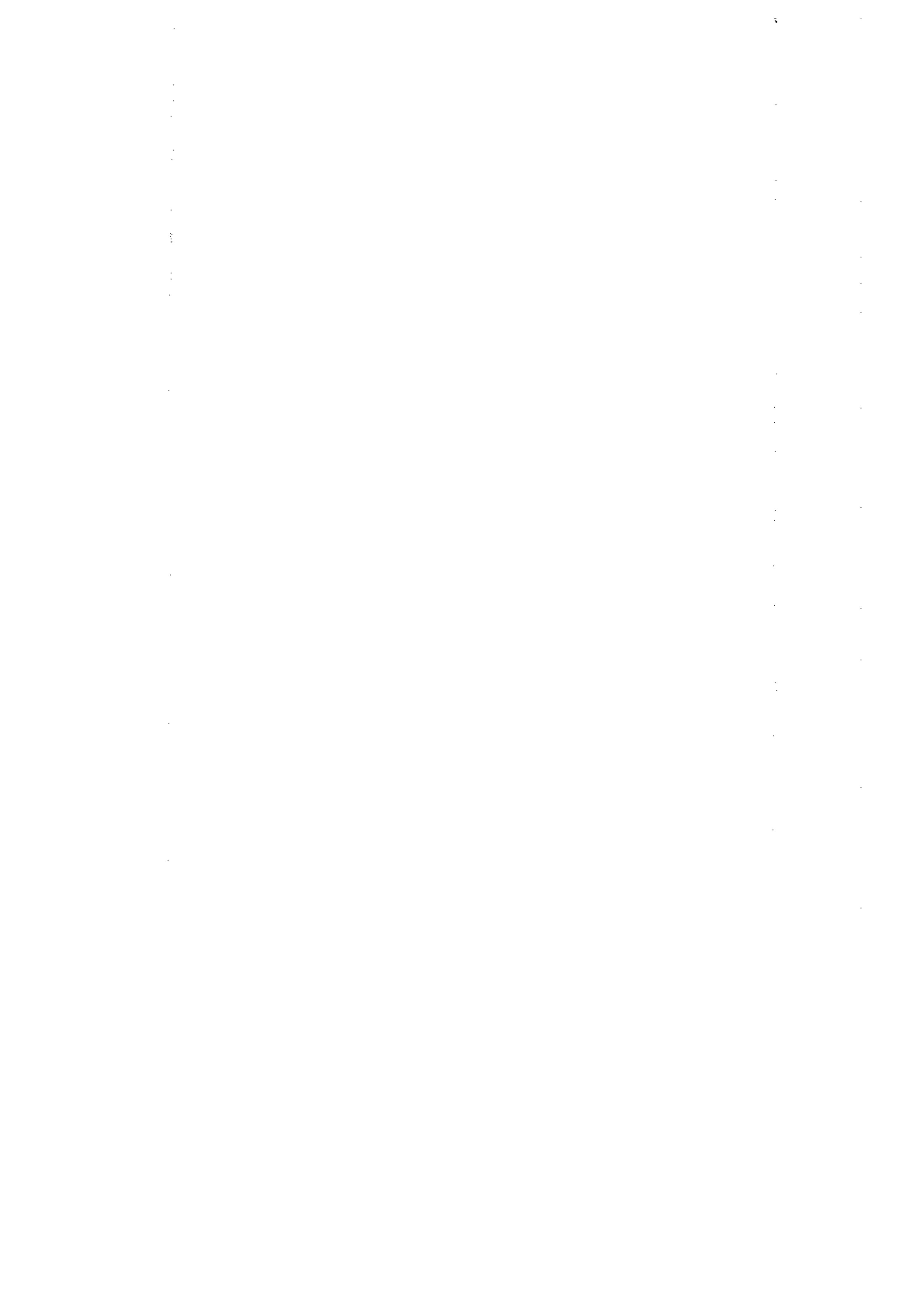
من ارتضى الذلَّ في موقفٍ عاش باقي العمر ذليلًا
فما الرجالُ إلا مواقف تفرز من كان منهم أصـــيلًا..
ولنا في مخلوقـــات الله عـــبرةً ودليلاً
فانظر إلى الأشجار وتعلم الشموخ من النخيـــل
فإذا أحنت الريح رقابها من بعيدها للقوام الطويـــل

طارق النجار



الفصل الأول

وفاة قصة حب



جلس ماجد البحيري في ركن الأرابيسك الذي أعده على ذوقه الخاص في مترله الواسع؛ كما أحبَّت الحاجة جوهرة - زوجته وشريكة عمره - ليكون مكانًا لهما بعيدًا عن أبنائهما الثلاثة. ومن خلال شرفته الواسعة أخذ ينظر إلى الأراضي الزراعية التي يمتلكها، ويفكر في أيامه الماضية، وفي حاضره بعدما صار صاحب ثروة عظيمة، وبعدما صار رئيس لجنة "العلاقات العربية" بمجلس الشعب.

يفكر دائمًا فيما حققه من أحلام كان يطمح إليها في صباه، فيجد نفسه قد ملك الزوجة الصالحة، ورزقه الله - تعالى - الأبناء الصالحين، وحاز الثروة والمكانة السياسية والاجتماعية المرموقة.

مشغول دائمًا بما أنعم الله عليه، ويتساءل: هل يمكن لإنسان أن يملك المال والسلطة والزوجة الصالحة والأبناء في الدنيا ويربح الجنة في الآخرة؟!

يتساءل فلا يجد إجابة، يقف حائرًا أمام هذا السؤال كأنه يستكثر على نفسه ما لديه، ويرجو من الله أن يحرمه بعض هذه النعم، يحرمه الثروة؛ إذ أخذ غرضه منها، ويُبقي الزوجة الصالحة التي تعينه إلى الجنة والأبناء الذين يدعون له بدخولها.

يتذكر أيام الطفولة والصبا، أحلامه التي وفقه الله لتحقيقها. فقد كان ابن رجل متوسط الحال ترك بضعة أفدنــة، وتجــارة صغيرة في الحبوب. أوصاه بأخيه الصغير الذي كان أقرب الناس إليه، والذي عانى منه كثيرًا لتعثره الدائم في التعليم؛ لذا لم ينل أكثر من دبلوم الثانوية الزراعية. أما هو فقد كان يمني نفــسه بنيل شهادة الدكتوراه في القانون، وبتنمية تجارة والده التي كان يعلم أهميتها ولخبرته أيضًا بها.

كانت تلك أحلامه، لم يتمنَّ أن يكون وزيرًا أو رأسماليًّا، أو أن يسلك طرقًا غير مشروعة، بل إنه اتقى ربــه وصــدق في تجارته مع الناس؛ فأحبه الجميع ونمت تجارته شيئًا فــشيئًا، وزاد ماله فاشترى بعض الأراضي الزراعية.

ومع اهتمامه بتجارته وعمله؛ لم يهمل دراســته أو يــنسَ حلمه في أن يكون ضمن هيئة التدريس بكلية القانون في إحدى الجامعات المصرية.

في فترة الدراسة، تعرَّف ماجد إلى فتاة كان جمالها حــديث الطلاب في الجامعة؛ ذات عينين زرقاوين مثل البحر، وبــشرة بيضاء كالبدر ليلة تمامه، وشعر أصفر كالذهب يتدلَّى أحيانًــا من تحت الحجاب الذي ينم عن عفة وتدين.

أعجب ماجد بأدبها الجم وأخلاقها الحميدة واحترام الجميع لها، وزاد إعجابه بطلاقتها في الحديث وجرأتها بعض الشيء - رغم التزامها.

أما الفتاة - وكانت تصغره بعام واحد - فقد أعجبت بشخصيته القوية؛ إذ رأته أول مرة عندما نظم بعض الطلاب مظاهرة بسبب ارتفاع سعر الكتاب الجامعي، ولم يستطع أمن الكلية السيطرة عليهم إلا بعد حضور ماجد، ومحادثة هؤلاء الطلاب، مؤكدًا لهم أنه سوف يخاطب إدارة الكلية في ذلك الأمر، وإن لم يتم البت فيه، فسوف يكون أول المتظاهرين معهم؛ فأوقف الطلاب تظاهرهم في الحال بناءً على رغبته.

رأت الفتاة ما حدث، فظنت ماجد معيدًا بالكلية، لكنها علمت فيما بعد بأنه رئيس اتحاد الطلاب، مما زاد ذلك من احترامها وإعجابها به، فاصطنعت الحيلة لتتعرف عليه عندما علمت أنه من قرية مجاورة لقريتها.

بعد أن حصل ماجد على شهادته الجامعية تقدم لعائلتها طالبًا الزواج منها، وكانت ابنة عمدة شديد الثراء، وبالرغم من انخفاض المستوى الاقتصادي لعائلة ماجد مقارنة بعائلتها، إلا أن والدها وافق عليه لما عرفه عنه من أحد أعيان قريته - قرية ماجد - وعن أصوله الطيبة؛ فقد كان أبوه - رحمه الله - من حفظة القرآن الكريم.

تزوج ماجد من جوهرة، وهي يومئذ في الفرقة الرابعة بكلية الحقوق، وأنجب منها ثلاثة أبناء: أكبرهم أحمد، وأوسطهم فارس - على اسم خاله الذي توفي في سن الشباب، وأصغرهم

طارق. وكان أبناؤه متفوقين في تعليمهم، ينالون دائمًا المراكز الأولى في جميع مراحلهم التعليمية.

تضاعفت تجارة ماجد حتى أصبح من أكبر تجار الحبوب في المركز كله، وكثير من صغار التجار يعملون برأس ماله. أحبه الجميع؛ و لم يخذل أحدًا قط. يُقرض الفقراء حتى يتمـوا جمع محاصيلهم الزراعية، ويُكثر من الصدقات.

توسع في مشروعاته التي كان من أهمها: مطحن للدقيق، ومضرب للأرز، ومزرعة مواش، ومكتب استيراد وتصدير – وقد كان إذا أقام مشروعًا جديدًا جعل أخاه محمود شريكًا له فيه بدون أن يخبره بذلك، وكان ذلك بعقود غير مسجلة لا يعلم بها إلا هو ومحاميه الخاص، لكنه كان ينوي تسجيل العقود وإخبار أخيه بما يخبئه لهإذا أراد الانفصال عنه.

كان ماجد من أصحاب الرأي في قريته والقرى المجاورة له، لذا أحبه الجميع لرأيه الصائب دائمًا، ومشاركته لهم في مشاكلهم وأمورهم، في الوقت الذي كان فيه يذهب إلى الجامعة ثلاثة أيام في الأسبوع ليمارس عمله كمدرس للقانون الدولي؛ إلا أن هذا لم يمنعه من إيجاد الوقت لهم؛ ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، ولهذا كان الجميع يكنون له عظيم التقدير والاحترام.

بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، طلب منه الكثيرون الترشح لعضوية مجلس الشعب، وقام بتحقيق رغبتهم، وتقدم للبرلمان، وصار عضوًا عن إحدى الدوائر بالمحافظة، فكان عضوًا نادرًا ينطبق عليه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن لله عبادًا اختصَّهم بقضاء حوائج الناس، حببهم إلى الخير، وحبب الخير إليهم، هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة". صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

كان ماجد يسهر على رعاية أهل دائرته، بل كان يقوم أيضًا بتقديم خدمات إلى أهالي الدوائر المجاورة، ويشارك الناس أفراحهم بنفسه أو يرسل مساعدًا أو مجاملًا، ويواسيهم في أحزانهم ويقدم التهاني في أفراحهم؛ بالرغم من كثرة مشاغله وأعماله.

وكان في بداية كل عام دراسي جديد يقوم بشراء الملابس والأدوات الدراسية للأطفال من اليتامى والمساكين، وفي نهاية العام يقوم بتكريم أوائل الشهادات في بلدان الدائرة جميعها.

وقد أنشأ عدة مشروعات خيرية من أهمها: دارًا للأيتام، وجمعية خيرية، ومدرسة. بجانب عدة مشروعات أخرى مع كبار رجال أعمال الدائرة، وقد كان يرفض وضع اسمه على هذه المشروعات جميعًا، كما أسهم أيضًا في توفير العديد من فرص العمل للكثير من أبناء دائرته.

كللت هذه الجهود والأعمال بمحبة وعرفان أهل الدائرة له، وسعى الجميع في مساندته والوقوف بجانبه دائمًا أثناء الانتخابات، منهم من يعمل اللافتات الانتخابية له، ومن يقوم بعمل الدعوة الصوتية (الميكروفون)، وغيرها الكثير من وسائل الدعاية المختلفة.

وكان أهل الدائرة يتفاخرون دائمًا بنجاحه، وكأنهم من خاضوا المنافسة الانتخابية بأنفسهم؛ لأنهم رأوا في ذلك تعبيرًا عن حرية اختيارهم لمن يمثلهم دون الضغط عليهم سواء من منافسين له أو من الحكومة التي كانت تساند مرشحها؛ بعد أن رفض البحيري الانضمام إلى الحزب الحاكم، ويبرر رفضه دائمًا بأن انضمامه لحزب ما سيجعله في نظر ناخبيه مخادعًا وكاذبًا؛ لأنهم وثقوا به وأعطوه أصواتهم وهو مستقل.

عندما كثر إلحاح بعض زعماء الحزب الحاكم وكوادره عليه للانضمام له، قام بعقد ندوة جمع فيها الكثير من أهل الدائرة، وعرض عليهم الأمر فسألوه: "هل الانضمام للحزب يفيدهم أو يفيده في شيء؟" فقال لهم: "إن الانضمام للحزب الحاكم سلاح ذو حدين؛ فأعضاء الحزب الحاكم يستطيعون الحصول على خدمات لناخبيهم لا يستطيع الحصول عليها أعضاء الأحزاب الأخرى، لكن الانضمام للحزب يجعل العضو

المنتسب إليه يتغاضى عن بعض مخالفات الحكومة". وعندها قال جميع الحاضرين إنهم مقتنعون وراضون بما يقدمه لهم من خدمات، ولا يرغبون في انضمامه للحزب الحاكم؛ حتى لا يكون لجهة ما تأثير في قراراته أو كلماته داخل المجلس.

وعبَّر أحد الحاضرين بفخر عن استجواباته للسادة الوزراء، وخطاباته داخل المجلس التي دائمًا ما تبهر الجميع، وعندها رفض البحيري الانضمام للحزب الحاكم؛ بناءً على رغبة أهالي الدائرة.

كانت الأفراح والولائم تقام في معظم منازل أعيان أبناء الدائرة من كل قرية، بعد كل دورة انتخابية تعلن نتيجتها فوز ماجد البحيري.

أما هو فكان يقوم بتوزيع مبلغ بدلًا من الدعاية الانتخابية، عندما يتسلمه، على جميع قرى الدائرة؛ حسب احتياج كل قرية، بل إنه كان أحيانًا يدفع من ماله الخاص لبعض القرى إذا لم يكفِ المبلغ.

أما أخوه محمود فقد أنهى دراسة الثانوية الزراعية، وتزوج من امرأة جميلة في نفس العام الذي تزوج فيه أخيه؛ إلا أن زوجته لم تستطع الإنجاب لمدة سنتين بعد زواجهما، ثم رزقهما الله بطفلة جميلة أسمياها نجلاء، والتي كانت تشبه كثيرًا زوجة

عمها الحاجة جوهرة؛ بلون شعرها الأصفر وبشرها البيضاء، ولم تختلف عنها سوى بلون عينيها الأخضر كوالدها. وربما يكون سبب هذا التشابه الغريب بينها وبين زوجة عمها الحاجة جوهرة أن والدها تمنت أن تنجب طفلة مثل الحاجة جوهرة الأخت والصديقة والأم لها.

وقد كان محمود البحيري يتمنى أن ينجب ذكرًا مثل أخيه، لكن زوجته لم تستطع الإنجاب ثانية. وبعد أن حار الأطباء في إيجاد علاج لها قام الدكتور ماجد البحيري باصطحابها إلى لندن هي وزوجها، وتم فحصهما في إحدى المستشفيات الكبرى هناك، فأكد الأطباء جميعًا النتائج التي أكدها أطباء مصر؛ فأراد محمود البحيري أن يتزوج بأخرى، إلا أن أخاه كان يقف دائمًا حائلًا بينه وبين تحقيق رغبته تلك، ويطلب منه دائمًا أن يرضى بقضاء الله.

وبالرغم من تلك المعاملة الطيبة التي يتعامل بها الدكتور ماجد البحيري مع أخيه إلا أنه كان يشعر دائمًا بالحقد تجاه أخيه، لما حققه من نجاح وشهرة؛ ويعتقد أنه السبب في أنه لم يحصل على حظه في التعليم؛ بسبب تفضيل والده لأخيه عليه والذي اختار له دراسة الزراعة؛ حتى يتفرغ للاهتمام بالأرض الزراعية التي كان يمتلكها حينئذ، كما كان يرى أن أخاه محظوظ أيضًا في الإنجاب؛ فلديه ثلاثة أبناء ذكور، أما هو فليس لديه إلا فتاة وحيدة.

أما زوجته الطيبة فكانت تحترم الدكتور ماجد السبحيري كثيرًا وزوجته السيدة جوهرة، وتعتبرهم أشقاء لها، كما كانت تعتبر أبناءهم الثلاثة كأبنائها، وتقول دومًا إنها أنجبت ثلاثة أبناء ذكور دون أن تتعب نفسها في حمل أو ولادة، وتمنَّت أن تتزوج ابنتها الوحيدة من أحمد ابن عمها.

كانت نجلاء تتمنى هي الأخرى ذلك، فهي تحب أحمد منذ طفولتها، كما كان أحمد أيضًا يبادلها الشعور نفسه، ويتمنى أن تكون في يوم من الأيام زوجته، خاصة أنها تشبه كثيرًا والدته في جمالها وأخلاقها. وكان الدكتور ماجد يعلم بهذا الشعور المتبادل بينهما، فقام بخطبتها لأحمد من أخيه، على أن يتم الزفاف بعد انتهاء أحمد من دراسته الجامعية.

في ذلك الوقت كانت أسرتي ماجد ومحمود؛ يقطنون في منزل واحد، ولكل منهما جزء خاص به؛ لذا كان أحمد يستطيع أن يرى نجلاء ويتحدث إليها، إلا أنه كان شديد الخجل حين يراها بالرغم من الخطبة المعقودة بينهما.

عندما وصل أبناء ماجد لسن الجامعة انتقل إلى منزل آخر كان قد أتم بناءه؛ وأهداه لزوجته الحاجة جوهرة هدية لها في عيد زواجهما. وهو الشيء الوحيد الذي فعله ماجد السبحيري ولم يكن أخوه شريكًا له فيه، فقد كان هذا المنزل تعبيرًا عن مدى حبه لهذه السيدة وتقديرًا منه لها على مساندتها له طوال

السنوات الماضية التي كانت فيهـا نعـم الزوجـة والأخـت والصديقة؛ فقد كان يناديها دائمًا بـ"شريكة العمر والكفاح"، كما أنها منذ بداية حياته فضلته على الكـثير مـن الأغنيـاء والأعيان من أبناء بلدتها، وتحلت دائمًا بالصبر على كثير مـن الصعوبات التي كانت تواجههما.

كبر الأبناء في ذلك الوقت، وكانوا من المتفوقين دائمًا في دراستهم؛ فكان أحمد أول دفعته في الفرقة الثانية من كلية التجارة، ويدير أيضًا مكتب الاستيراد والتصدير الذي يملكه والده، كما كان طيب القلب مثل أبيه، عطوفًا على أهل قريته ويحبه الجميع، وهو دائمًا غارق في حلم زواجه من نجلاء حبيبة طفولته. أما فارس فقد أنهى الفرقة الأولى من كلية الطب بتفوق وكان أول دفعته، يحب الفروسية وتربية الخيل؛ فقد ورث هذه الهواية عن جده العمدة، وكانت شخصيته جريئة وجامحة مثل الخيل، لا يستسلم بسهولة ولا يفرط في حقه أبدًا مهما كانت الظروف، ولا يسامح من أهانه مهما اعتذر له.

أما طارق فقد أنهى الثانوية العامة بتفوق لا نظير له، ولفرحة والده به وتقديرًا منه لتفوقه؛ أهداه سيارة جديدة؛ فكانت هذه السيارة أغلى هدية في حياته؛ لأنها من أبيه الذي يكن له كل حب وتقدير واحترام. وكان كل يوم يذهب بسيارته إلى الأراضي الزراعية ويجلس مع الفلاحين؛ ويعتبر نفسه واحدًا منهم، وكان الجميع يرحبون به ويتسابقون على دعوته بمشاركتهم في الجلوس أو الغداء معهم، إذ كان طارق يحمل بين جنباته طيبة قلب والدته وحنانها الجارف. وكثيرًا ما كان

طارق يذهب بعد صلاة العصر إلى عشة صياد يدعى مغاوري، ويجلس ليشرب الشاي معه، والذي كان يعده على موقد نار صغير (كانون) يعمل بحطب الأشجار، ليستمتع بطرائفه وحكاياته التي لا تنتهي؛ بلهجته الصعيدية المحببة إلى قلبه، وفي أحيان كثيرة يجد أخاه أحمد وصديقه أسامة هناك.

ومغاوري هذا شاب يافع محبب إلى الدكتور ماجد وأهالي القرية جميعها، وقد أعطاه الدكتور ماجد قطعة أرض صغيرة، وبنى له عليها منزلًا بالطوب اللبن، كما اشترى له أيضًا قاربًا يرتزق منه من صيد الأسماك من الترعة الواسعة التي تجاور منزله؛ فكان يبيع الأسماك إلى أهل البلدة والمارة من سكان القرى المجاورة.

إلى أن ألقت مباحث المخدرات القبض عليه عندما وجدوا لديه قطعة من الحشيش، وتم الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر مع إيقاف التنفيذ.

عندما حدثت تلك الواقعة أراد محمود البحيري طرده من المنزل الذي أعطاه له ماجد، لكن ماجد رفض ذلك بشدة، وأصر على بقاء مغاوري في منزله، بل إنه كتب له عقد بيع وشراء للمنزل وقطعة الأرض المبني عليها. مما أثار تعجب وحيرة محمود لموقف أخيه حيال ذلك.

بعد أن أنهى طارق شهادة الثانوية العامة بتفوق؛ كان والده يتمنى له أن يستكمل دراسته في كليـة الاقتـصاد والعلـوم السياسية، وتم قبول طارق بها. فأقام ماجد بهذه المناسبة حفلًا كبيرًا دعا إليه كثير من أعضاء مجلسي الـشعب والـشورى، والسيد مدير الأمن ومأمور مركز الشرطة وأعيـان المحافظـة والمقربين منهم إليه.

وطلب الدكتور ماجد من أخيه، أن يقوم بذبح عدد مـن المواشي وتوزيعها على فقراء القرية، مما أثار غضبه وحقده لمـا يحدث. وكان يصاحبه دائمًا أحد أعـوان الـشيطان يـدعى "مشحوت"، وهو خفيره الشخصي الذي يلازمه كظله. والذي ينمي لديه دائمًا شعوره بالحقد والغيرة؛ إذ قال له عندما ذهبـا معًا لتنفيذ أوامر دكتور ماجد: "أنت لا مؤاخـذة عامـل زي حمار الكرنب.. شايل ومحروم".

فصدم محمود من كلامه وصرخ فيه: "كيف تحدثني بهـذه الطريقة، أيها الغبي؟" فأحنى مشحوت رأسه وقال إن كل مـا يهمه هو مصلحته فقط.. فأمره محمود بالذهاب لتنفيذ المطلوب منه. ووقف بعدها يحدث نفسه قائلًا: "حـتى الخفـير كمـان عارف إني مليش لازمة".

بعد انتهاء العشاء جلس ماجد البحيري مع ضيوفه لمناقـشة بعض مشاكل واحتياجات الدائرة؛ وبعد انتهاء هذه الجلـسة طلب ماجد البحيري من أخيه إحضار بعض الهدايا لـضيوفه، وكان من ضمن هؤلاء الضيوف السيد مأمور مركز الـشرطة، هذا الرجل الذي يعرف عنه استغلاله وتقاضيه الرشاوى دائمًا؛ ولا يعرف إلا من يدفع له، فقام من مجلسه وطلب من محمـود بعض الطلبات الخاصة من طيور وفواكه وخلافه، وكان هـذا الحوار في وجود فارس الذي أخذ ينتقد المأمور لدناءة نفسه.

وعلى الجانب الآخر جلست السيدة جوهرة بنفسها تشرف على القائمين بتوزيع اللحوم على الفقراء من أهل القرية؛ كما كان لفقراء قريتها أيضًا نصيب من تلك النفحات التي اعتادوا عليها من ابنة عمدتهم القديم وشقيقة عمدتهم الحـالي؛ مثلمـا اعتادوا من زوجها أيضًا الذي يفخرون بأنه زوج ابنة عمدتهم.

هذا المجهود الذي قامت به قد جعلـها تـشعر بالإعيـاء الشديد، وخاصة أنها مريضة بالقلب. وبعـد انتـهاء الحفـل والعشاء ذهبت إلى غرفتها، ولحق بها ماجد بعد أن فرغ مـن توديع مدعويه، فوجدها في شدة الفرح، والإعياء بـادٍ علـى وجهها.

فقال لها: "يبدو عليك الإعياء الشديد".. وأراد أن يحضر لها الطبيب، لكنها رفضت وقالت له إن سبب ذلك هو المجهـود

الذي قامت به من متابعتها طوال اليوم لمن كـــانوا يقومـــون بتوزيع اللحوم على الفقراء؛ قال لها: "ألم أحذرك من قبـــل؟" فقالت له إنه هو من وضع هذه الأمانة في عنقها؛ فلا بـــد أن تتأكد بنفسها من وصولها لأصحابها".

نظر إلى وجهها وابتسم وهو يدعو الله أن يتقبـــل منـــهما تقربهما إليه، فأمَّنت على دعائه وهي تقول له إنهـــا في شـــدة الفرح هذا اليوم.

قال لها إنه أيضًا يشعر بسعادة لا توصـــف؛ وأن كفاحـــه طوال أيام حياته لم يمضِ هباءً، وأن الذي وصل إليـــه الآن لا يُقدَّر بمال. وإن ثروته بأكملها لو ضاعت منه لما حزن عليهـــا؛ فقد جمع كل هذا المال من أجل أن يضمن لأبنائـــه مـــستقبلًا مشرقًا، وها هم الآن يحققون كل ما كان يتمناه لهم.

فقاطعته قائلةً: إن السبب في ذلك هو رضاء الله - تعالى - عليهم وسعادتهما في حياتهما.

سألها مبتسمًا إذا كانت بالفعل سعيدة معه أم لا؟

تبسَّمت الحاجة جوهرة متعجبةً: "هل تـــسألني الآن بعـــد مرور كل هذه السنوات؟" ثم قالت إنها لم تكن تتمنى أكثر مما هي فيه الآن، بل إنها أحيانًا تفكر فيما تقدمه لربها؛ للشكر لـــه على كرمه معها، وإنها لا تتمنى أو تطمع في أكثر من ذلك.

قال لها: "تمني يا حبيبتي ما تشائين، وأنا على استعداد أن أحققه لك مهما كلفني ذلك". فشكرته الحاجة جوهرة ودعت الله له بطول العمر، ثم انتقلت إلى الكرسي المقابل له وأخذت تذكره بالمرة الأولى التي رأته فيها عندما كان في مظاهرة الطلاب وظنته معيدًا بالكلية، ثم عرفت أنه طالب ما زال في الفرقة الثالثة فازداد إعجابها به وبشخصيته القوية، وأخذت تسأل عنه كل من يعرفه فأخبروها بأنه من بلدتها، ومن قرية قريبة من قريتها ففرحت بذلك كثيرًا.

كانت جوهرة – في تلك الفترة – تعيش مع خالتها في القاهرة؛ وتستقل دائمًا في نهاية الأسبوع قطار الساعة الرابعة إلى بلدتها لتزور أهلها وترى إخوتها؛ وكانت تتمنى أن تراه في إحدى المرات في القطار ليتسنى لها فرصة التحدث إليه، ولكن ذلك لم يحدث قط، وكانت كلما رأته في الجامعة أرادت أن تتحدث معه، ولكن حياءها منعها من ذلك؛ حتى جاءتها الفرصة وتعرَّف هو إليها.

قاطعها قائلًا إنه عندما رآها هي وصديقتها تتشاجران مع حرس الجامعة لإصراره على عدم دخولهما بدون بطاقة دخول الكلية، أعجب بجرأتها في الحديث مع أفراد الأمن، وفرح لأنه وجد في ذلك تربة خصبة للتعرف إلى فتاة تمنى الكثيرون أن يتحدثوا إليها. ولكنه وجد الفرصة متاحة له في ذلك الموقف،

فتدخَّل على الفور وطلب من أمن الكلية أن يسمح لهما بالدخول، فوافق ضابط الأمن على الفور؛ بناءً على طلب أمين اتحاد الطلبة. فقالت له جوهرة إنها كانت في شدة الفرح بهذا التعارف، وإنها ظلت تحمل لصديقتها جميل ما فعلت؛ فهي التي لم ترغب في إظهار البطاقة لأفراد الأمن حين رأت ماجد قادمًا خلفهما؛ حتى يكون التعارف بطريقة طبيعية وغير مقصودة.

فقاطعها مستفسرًا وهو يضحك: "وهل كانت معك؟"

فضحكت وقالت: "نعم".

فقال لها إنه هو الذي يدين لصديقتها بهذا الجميل؛ فهي السبب في زواجه من حلم عمره.

وأخذ الحبيبان يضحكان على هذا السر الذي باحت به الحاجة جوهرة بعد أكثر من عشرين عامًا، ولم يظهر إلا في تلك اللحظة.

كانا كأنما يبحثان عن بعضهما من قبل ويحلمان باللقاء، وعندما رأى كل منهما حلم عمره أمامه أخذ يسلك الطرق؛ حتى يتعرف إلى الآخر ويخبره بأنه يبحث عنه، وبأنه لا يستطيع الحياة بدونه، وقد هيأ القدر ترتيب هذا اللقاء فجعل كلًّا منهما يختار الجامعة نفسها، بل نفس الكلية حتى يلتقيا هناك وتكتمل قصة حبهما، وفي وسط تلك الضحكات وضعت الحاجة جوهرة يدها على قلبها وهي في شدة الألم والرجاء؛ وكأنها

ترجو هذا الألم أن يتركها تستمتع بهذه اللحظات الجميلة مع حبيب عمرها، ولكنها لم تستطع أن تداري ألمها أكثر من ذلك، و لم تستطع إخفاء شحوب وجهها وسرعة ضربات قلبها المتلاحقة؛ فقام الدكتور ماجد من فوره بالاتصال بالطبيب المعالج لها الذي أمر بنقلها في الحال إلى المستشفى؛ وأخبرهم بأنها مصابة بالتجلط في الدم، ودعا الله أن تمر الساعات الخطرة القادمة بسلام، ويكتب الله لها الشفاء.

- ٤ -

وقف ماجد البحيري في طرقات المستشفى أمام غرفة العناية المركزة وبجواره أبناؤه الثلاثة وأخوه وابنته، وأيضًا كل من العمدة أخو الحاجة جوهرة وابنه الأكبر، إلا أن ماجد البحيري لم يكن يشعر بكل من حوله ولا يتحدث إلى أحد؛ خوفه على شريكة عمره جعله لا يشعر بمن حوله ولا يسمع صوت من يتحدث ومن يبكي ومن يدعو لها بالشفاء. لا يسمع إلا صوتها في أذنيه، وآخر حديث لها معه وضحكاتها العالية على غير عادتها وعيناه مليئة بالدموع، وعندما رآه طارق (أصغر أبنائه) هكذا أخذ يبكي، وبكى الجميع من حوله.

كما بكى محمود البحيري هو أيضًا على زوجة أخيه؛ فقد كانت له هذه المرأة بمثابة أخت له أيضًا، بل كان يحبها ويحترمها رغم غيرته وحقده على أخيه.

تزامنت هذه المشاهد الحزينة مع خروج الطبيب من غرفة العناية المركزة؛ فتوجه إليه الجميع مسرعين، وسأله شقيقها العمدة عن الحال فقال له الطبيب وهو يستدير بوجهه إليهم: "البقاء لله".

تعالت أصوات الجميع بالبكاء، واحتضن أحمد إخوته وهم يبكون والدهم التي كانت لهم نعم الأم، بل كانت لهم الأخت الكبيرة والصديقة أيضًا.

أما نجلاء فأخذت تبكي والدها الثانية، والتي كانت تشبهها في كل شيء، وعندما تلقّت والدة نجلاء خبر وفاة صديقتها الوفية التي كانت عونًا لها في الحياة سقطت مغشيًّا عليها من هول الصدمة..

كان هذا هو خبر وفاة الحاجة جوهرة الذي أشعر كل من سمعه بخالص الحزن؛ فقد كانت اسمًا على مسمى؛ جوهرة في طبعها وأخلاقها ورقة قلبها وأحاسيسها.

وقف ماجد البحيري صامتًا يبكي على حبيبة عمره، وبعد أن نقل جثمانها إلى مدافن عائلة البحيري، ذهب الجميع إلى سرادق العزاء الذي حضره نخبة كبيرة من أعضاء مجلسي الشعب والشورى؛ كما حضره السادة أعضاء مجلس الوزراء، ونخبة من رجال السياسة والصحفيين أيضًا، ومن لم يستطع الحضور بعث ببرقيات العزاء إلى الدكتور ماجد البحيري، وعلى رأسهم برقية السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء.

عم الحزن جميع منازل أهالي القرية، وارتدت النساء ملابس الحداد حزنًا على هذه السيدة الفاضلة، التي كانت بمثابة الابنــة والأم والأخت لكل أهالي القرية أيضًا.

بعد انتهاء هذا اليوم الحزين عاد الجميع إلى منازلهم، وعــاد الدكتور ماجد ممتلئًا بالحزن الذي كان باديًا عليه و لم يــستطع السيطرة عليه وعلى دموعه أمام جميع من حضروا العزاء؛ عــاد ودخل غرفته وأخذ ينظر إلى كل ما فيها من أثــاث وصــور ويتذكر.

هنا المكان التي كانت تجلس فيه، وهنا كانت تــصلي، وفي هذا المكان كانت تتحدث معه، وقطعة الأثاث هذه كان قــد اشتراها لها؛ وتلك قامت هي بوضعها في هذا المكــان و......، لقد قام ببناء هذا المترل وأثثه بناءً على ذوقها واختيارها هي.

ماتت.. ماتت من كان يعشقها، ومن كانت تــضيء لــه الدنيا.. ماتت من كانت تعينه على فعل الخير.. وتخفف عنــه آلامه إذا ابتسمت.. ماتت من رفضت كل أعيــان وأغنيــاء الدائرة، وفضلته هو عليهم.. ماتت من ظلت بجواره تــشاركه أحلامه ونجاحه حتى أصبح واحدًا من أهــم أعــضاء مجلــس الشعب.. ماتت قصة حبه.

أخذ ماجد البحيري يسترجع تلك الذكريات طوال الليــل، وهو يبكي بمفرده حتى أقبل الفجر؛ فازداد إرهاقه وارتفع ضغط الدم لديه وفقد الوعي دون أن يشعر به أحد.

وفي الصباح عندما تأخر في الاستيقاظ ذهب إلى غرفته أحد الخدم؛ ليوقظه ويسلمه برقيات العزاء التي وصلت إليه، فوجده ملقى على الأرض في حالة إغماء، وتم نقله في الحال إلى إحدى المستشفيات الخاصة التي ظل فيها قرابة العشرة أيام، تزداد حالته سوءًا يومًا بعد يوم، وتسبب وجوده في المستشفى كل هذه الفترة في كثير من تحركات رجال الشرطة في المركز لتأمين الدائرة؛ نظرًا لتوافد كثير من السادة الوزراء ونواب مجلسي الشعب والشورى لزيارته والاطمئنان عليه.

بعد تماثله للشفاء انتقل إلى منزله في قريته، واجتمع بأبنائه وأخيه وأخبرهم بأنه ينوي بناء مسجد يحمل اسم زوجته الحاجة جوهرة، واستأذن أخيها في أن يكتب اسمها على المسجد "جوهرة البحيري"؛ بدلًا من لقب عائلتها فوافق أخوها على الفور، وطلب إليه الإسهام في بنائه، لكنه رفض ذلك بشدة.

وفي أشهر قلائل كان المسجد قد تم بناؤه وتشييده بتكلفة تعدت النصف مليون جنيه، وتم افتتاحه بحضور وزير الأوقاف، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، والعديد من قيادات الأزهر الشريف.

مر على هذه الأحداث عدة أشهر، وبعد أن كانت نجلاء فيما مضى تقوم بزيارة الحاجة جوهرة يوميًّا، بعد انتقالهم إلى المترل الجديد، وتتحدث إلى أحمد عن حبهما ومستقبلهما بعد الزواج. ولكنها الآن لا تستطيع الذهاب إلى هناك مثلما سبق منذ وفاتها، ومثلها أيضًا أحمد تمنعه الظروف نفسها من رؤية حبيبته وخطيبته ولا يستطيع أن يراها إلا عندما يذهب برفقة والده لزيارتهم، ويكتفي بمصافحتها في حضور والده وأسرتها. وبينما كان يفكر في طريقه يرى بها نجلاء بعيدًا عن المترل ليستطيع أن يتحدث معها، إذا بفارس يدق عليه باب حجرته ويستأذنه في الدخول فرأى أحمد حزينًا يعتصر الآمه وأحلامه، فسأله عن سبب ذلك فأخبره أحمد بما يدور في رأسه.

فقال له فارس إنه لا توجد أدنى مشكلة في ذلك؛ فهي خطيبته، ويستطيع أن يذهب إلى مترلها ويجلس معها على انفراد كما يشاء، فهذا حقه، وهي ابنة عمه. فأخبره أحمد أن والدها منعها من زيارتهم، بل ومنعها أيضًا من الجلوس معه عندما يذهب لزيارتهم، ومن التحدث معه في الهاتف.

فسأله فارس ثائرًا: "أليست خطيبتك؟". فقال: "نعم، خطيبتي". فقال فارس إنه سوف يخبر والده بكل ذلك، ويطلب

منه أن يقوم بعقد قرانهما؛ حتى يصبح له الحق في مجالستها والكلام معها بدون أدنى اعتراض من عمهم". عارضه أحمد بشدة، وقال إن ذلك سوف يجعل والده يظن أنه لا يستطيع أن يصبر على مرور عام على وفاة والدته؛ فتركه فارس وهو يخبره بأنه سوف يسعى لحل هذه المشكلة، فأخذ أحمد منه وعدًا بألا يحدث والده في هذا الموضوع.

بعد صلاة عصر اليوم التالي، ذهب فارس إلى مترل عمه فوجد نجلاء ووالدهما في حديقة المترل، فقبل يد زوجة عمه كما هي عادته، وصافح نجلاء وطلب إليها أن تذهب لتبدل ملابسها؛ حتى تخرج معه، فسألته أمها عن السبب فأخبرها أن والده ينتظرهما في الحقل عند مزرعة المواشي ويريد أن يرى نجلاء؛ فوافقت على الفور وأمرت نجلاء بتنفيذ ما طلبه فارس منها.

وعند خروجهما من باب حديقة المترل قابلهما عمه، وسأله عن مكان ذهاهما فقال له فارس إن والده أمره بأن يحضر نجلاء إليه في المزرعة ولا يعرف لماذا. وعرض فارس على عمه أن يعيد نجلاء ثانيةً إلى المترل ويخبر والده إن كان يرفض ذلك، فنظر إليه عمه في غضب، وكان يعرف مكر فارس، وهو يقول: "أنا لم أقصد ذلك".. فودعه فارس وذهب بعد سؤال عمه إن كان يأمره بشيء آخر أم لا. ذهب فارس ونجلاء إلى المزرعة فوجد أباه هناك، فصافح والده نجلاء وقبّلها، واستأذنه

فارس في أن يذهبا إلى شركة الاستيراد والتصدير؛ حيث كان أحمد هناك، فتبسم البحيري وهو ينظر إلى فارس ويعرف مقصده من ذلك، وفوجئت نجلاء بهذا الحديث؛ فلم يخبرها فارس بذلك أثناء الطريق، وأبدت سعادتها لرؤية ولقاء أحمد.

ذهب فارس ونجلاء إلى مكتب أحمد، واستأذنا السكرتير في الدخول إليه، وفوجئ أحمد بتلك الزيارة التي لم تخطر له على بال. والتي أعادت له الأمل من جديد، وكأنه قد امتلك الدنيا بأكملها، فاحتضن أخاه وهو يشكره على ما قام به من أجله، وتركهما فارس وهو يقول: "اتعلّموا بقى يا بشر، أنا مش عارف حب إيه دا بس!!" فضحك الجميع، وقال لهما فارس إنهما يستحقان ما يحدث لهما، وإنه لو كان مرتبطًا لرأى خطيبته كل يوم رغمًا عن أبيها، فقالت له نجلاء إن التي سوف ترتبط به ستكون سعيدة الحظ في الزواج منه؛ ولن تقلق أبدًا على نفسها ما دامت معه، ابتسم فارس ثم تركهما وخرج من المكتب.

بعد خروج فارس، أخذ أحمد يُعرب لنجلاء عن مدى سعادته بهذه الزيارة، ثم سألها عن أحوالها، فأخذت تقص عليه معارضة أبيها لمقابلته أو الجلوس معه، وأن كثيرًا ما حدثت مشاجرات بين والدها وبينه بسبب هذا الموضوع. وقالت إنها لا تعرف سبب فعل أبيها لكل هذا، وإنها سوف تقتل نفسها إن لم تتزوجه، ثم أجهشت في البكاء.

ضاقت نفس أحمد بهذه الكلمات، ولكنه أراد أن يخفف عنها، فقام من مجلسه وجلس على الكرسي المقابل لها، وأعطاها منديلًا ورقيًا لتجفف به تلك الدموع التي يحسها نارًا تكوي صدره، ويغني لها بصوت منخفض "كفايا دموع بقى مش عارف أشوف عينيك".. إلا أنها ظلت على بكائها، فأخذ منها المنديل وهو ينظر إليه ويقول في دهشة: "إيه ده.. المنديل عليه دموع خضرا"!! فنظرت هي الأخرى إلى المنديل مندهشة؛ فخاطبها ثانيةً متغزِّلًا وهو يقول: "بس بقى.. أحسن لون عينيكِ الأخضر حيخلص"، فضحكت نجلاء وهي تجفف دموع عينيها. وقالت له إنها خائفة من تصرفات أبيها غير الطبيعية.

فقال لها أحمد بكل ما هو معروف عنه من رجاحة عقله، إنه إذا أراد الله لهم الزواج فلم يمنعهما من الزواج مخلوق قط، حتى وإن كان والدها. كانت تلك الكلمات طوق نجاة بالنسبة لها؛ فقد أعادت لها الأمل في الارتباط بأحمد، كما كانت تنم عن إيمان أحمد الشديد بالنصيب وما يختاره الله للعباد، وتحدثا بعد ذلك عن مستقبلهما وما يريد أن يفعله أحمد بعد تخرجه وتعيينه معيدًا بالكلية.

عاد فارس واصطحب نجلاء وأحمد إلى منزلهم، وهناك اتصل والده بأخيه وطلب منه أن يترك نجلاء تتناول العشاء معهم، وسوف يقوم فارس بتوصيلها إلى المنزل بعد ذلك.

في تلك الأثناء كانت مواقف ماجد البحيري السياسية المشرفة قد جعلت منه نجمًا ساطعًا في سماء السياسة، وخاصة بعد خطابه الذي وجهه من مجلس الشعب إلى حكومة دولة إسرائيل الصهيونية، عندما قام الجيش الإسرائيلي بقتل اثنين من جنود حرس الحدود المصرية؛ وبرروا ذلك بحدوث خطأ غير مقصود، حيث قاموا بتوجيه اعتذار رسمي للحكومة المصرية، وبعد هذا الخطاب أصبح الدكتور ماجد البحيري حديث جميع رجال المجتمع، سواء رجال الحكومة أو أفراد الشعب، وحديث كل رجال الدول العربية ومعظم القنوات الفضائية في برامجها السياسية. وكان ماجد أحد أعضاء لجنة "العلاقات العربية" بمجلس الشعب، ونظرًا لنشاطه ومواقفه السياسية، تم اختياره رئيسًا لها بعد وفاة رئيسها. وحقًّا كان يستحق هذا المنصب وأكثر من ذلك، فكان كما كُتب عنه في إحدى الصحف القومية: "رجل لا يخاف في الله لومه لائم" يقول الحق، ولا يخشى عواقب قوله.

وتطلب منه المنصب الجديد التفرغ التام؛ لما يحتاجه من سفر دائم إلى معظم الدول العربية؛ فكان لا بد له من شخص ينوب عنه في إدارة أعماله في أثناء غيابه عن مصر دون الرجوع إليه.

فقرر أن يقسم المهام بين أحمد ابنه وشقيقه محمود، فأعطى لأحمد إدارة شركة الاستيراد والتصدير والإشراف على باقي المشروعات، وألزمه بالرجوع دائمًا إلى عمه واستشارته في كل شيء، وأعطى أخيه كل صلاحيات البيع والشراء والإمضاء بدلًا منه في جميع مشروعاته، وأعطاه الحق في فصل مدير الشركات (أحمد) إذا خالف أراءه، وقام بعمل توكيل عام له في الشهر العقاري.

وكأن هذا التوكيل هو فرصة محمود البحيري التي ينتظرها منذ أعوام طويلة؛ لتحقيق أهدافه واسترداد كرامته التي يتوهم أن أخاه سلبه إياها، وأنه ليس بشخص عادي يعمل ويتقاضى راتبًا شهريًا مقابل عمله مع أخيه صاحب السلطة والمال؛ خاصة أنه طلب من أخيه أن يصبح عمدة البلد فرفض ماجد بشدة، وقال: "إن العمدة القديم رجل طيب توارث العمودية أبًا عن جد".

كانت هذه من تلك الأسباب أيضًا التي جعلت محمود يزيد من حقده وكرهه لأخيه ويتمنى دائمًا يكون بدلًا منه في كل شيء، المال والجاه والشهرة..

تلك هي الأسباب الوهمية التي كانت من وحي خياله المريض فقط، والذي جعله يصدقها؛ مع أن ماجد البحيري

كان كلما بني مشروعًا جديدًا يخص أخاه بنصيب مساوٍ لنصيبه تمامًا، وكان ينوي إعطاءه كامل حقوقه واحتياجاتــه إذا أراد الانفصال عنه، إلا أن محمود البحيري لم يظهر ولو لمرة واحدة أنه يريد ذلك؛ فدائمًا ما يكون أمام أخيه هو توأمه الوفي، ومن خلفه العدو المتربص به.

وعندما علم مشحوت بأمر التوكيل، قال لمحمود إن الفرصة قد جاءته؛ لاسترداد كرامته، وأنه إذا أضاع هذه الفرصة مــن يده لن تعود له ثانيةً. رفض محمود في بداية الأمر ما قالــه لــه مشحوت بشدة، لكنه في قراره نفسه يرى في كلامه جزءًا من الصواب، فقرر أن يغتنم هذه الفرصة.

مضت بضعة أشهر كان فيها ماجد البحيري يتنقل بين عدة دول، وظلت الأمور كما هي عليها، في مسئوليات كلًّا مــن أحمد ومحمود البحيري في إدارة الأعمال الخاصة بماجد، إلى أن سافر أحمد إلى القاهرة، وترك لعمه إدارة الشركة لقرب موعد امتحاناته.

وبعد عدة أيام سافر ماجد البحيري لفترة طويلة إلى الــدار البيضاء؛ لحضور مؤتمر القمة العربية؛ فكانت تلك هي الفرصة التي يريدها محمود لتنفيذ خطتــه، فالأبنــاء في القــاهرة لأداء الامتحانات الخاصة بهم، وأخاه بعيد عن البلاد.

قام محمود بتحويل كل ممتلكات أخيه إلى نفسه، وحول كل حسابات أخيه في البنوك إلى حسابات خاصة به في عدة بنوك مختلفة في مصر وخارجها؛ كما كانت سيارات أبناء أخيه أيضًا من ضمن هذه الممتلكات، وانتقلت كل أموال ماجد وأبنائه وممتلكاتهم لحوزته، فيما عدا المترل الذي يقيمون به، والذي كان أهداه الدكتور ماجد لزوجته الحاجة جوهرة - رحمها الله - وكتب عقد ملكيته باسمها.

عاد ماجد البحيري إلى القاهرة بعد فترة تغيبه؛ وذهب للاطمئنان على أبنائه في الشقة التي كانوا يقيمون فيها أثناء فترة الدراسة في القاهرة، ومكث معهم يومان قبل التوجه إلى مترله في محافظته للاطمئنان على أخيه وأسرته، وأعماله التي ترك إدارتها لأخيه.

وأثناء توجهه إلى المحافظة بسيارته الخاصة، استوقفه ضابط شرطة وأخبره أن هذه السيارة تم الإبلاغ عن سرقتها في بلاغ رسمي. دُهش ماجد من ذلك، وقال للضابط إنها سيارته الخاصة، وأخذ يبحث في السيارة عن الأوراق الخاصة بملكية السيارة فلم يجدها. وعندما عرَّف نفسه للضابط دهش هو أيضًا، وأراد أن ينهي هذا الوضع في الحال، وقال لماجد إنه سوف يبحث في حقيقة هذا الأمر، وإنه لا بد وأن يكون

حدث خطأ ما، وقدم إليه اعتذاره، وتمنى له أن يصل بالسلامة إلى محافظته، وأن يترك له التحري عن هذا الأمر، ومن ثم يبلغه بالنتائج عبر الهاتف، إلا أن ماجد أصر على الذهاب إلى قسم الشرطة واستكمال باقي الإجراءات.

على الفور قام ماجد بالاتصال بالأستاذ علي، صديقه والمستشار القانوني لمجموعة شركات البحيري، وأخبره بما حدث، وطلب منه أن يحضر إليه في قسم الشرطة، وعندما بلغ قسم الشرطة أخبره الضابط أن مقدم البلاغ هو شقيقه محمود البحيري؛ فتوقع أن أخاه عندما غابت السيارة عن المنزل ظن أنها سرقت. ولكنه عاد يسأل نفسه: لماذا لم يتصل بي ويسألني عنها؟ ثم التمس له العذر، وقال إنه ربما لم يستطع الاتصال بي لضعف شبكات الاتصال الدولية، ثم تذكر أنه كان يتصل بأخيه كل يوم ويسأله عن أحواله وسير العمل، فكان يخبره دائمًا بأن كل شيء على ما يرام، فيعود يلتمس له العذر ويقول لنفسه ربما لم يبلغه خوفًا عليه من القلق.

وضع في ذهنه كافة الاحتمالات إلا أنه لم يشك ولو للحظة فيما فعله أخوه أثناء تغيبه هو وأبناؤه.

حضر الضابط المكلف بعمل التحريات وأبلغ رئيس المباحث، أن السيارة ملك للسيد محمود البحيري، وأن كل الأوراق في إدارة المرور تثبت ملكيتها له.

طلب رئيس المباحث من الضابط الانصراف، ثم نظـــر إلى ماجد وسأله: "لماذا لم تتصل بأخيك، وتسأله عما حدث؟!"

صمت ماجد لفترة طويلة بعد هذا السؤال، و لم يستطع الرد إلى أن حضر صديقه ومستشاره الأستاذ علي، وطلب الانفراد بماجد لبضع دقائق، وأخبره بأن أخاه قد باع جميع ممتلكاته هو وأبناءه لنفسه أثناء فترة غيابه، وأن كل الأوراق تؤكد ذلـــك. سمع ماجد هذا الخبر وهو في حالة من الذهول بما يدور حوله، وكأنه تلقى طعنة في قلبه، وعقله لا يصدق ما حدث، فهذا هو أخوه الذي يعتبره أحد أبنائه، بل يفضله عليهم.

وقف ماجد وحاول أن يتكلم، إلا أنه فقد الوعي في الحال وتم نقله إلى المستشفى، وأجرى الأطباء عليـــه الفحوصـــات الطبية، والتي أثبتت إصابته بجلطة في المخ، مما أسفر عن شـــلل نصفي أودع على إثره بغرفة العناية المركزة، تحت إشراف فريق طبي متكامل لمتابعة الحالة لحظة بلحظة .

- ٧ -

علم محمود بما حدث لأخيه فأصابه الحزن، وأحس بالندم الشديد على ما قام به تجاهه، فقال له مشحوت الخفير: "إن هذا الإحساس لا بد أن ينتابك في البداية". وأخذ يذكره بأخيه الذي كان يعامله كمأجور لديه، يتقاضى راتبًا مثله مثل الخدم الذين حوله، ويقول له: "إن كنت قسوت عليه مرة، فهو يقسو عليك منذ أكثر من أربعين عامًا".

ونصحه مشحوت بأن يترك البلد بضعة أيام حتى تستقر الأمور وتمر تلك الفترة وعواقبها بأمان.

سافر محمود إلى الإسكندرية وأقام في شقة فاخرة قام بشرائها بمجرد وصوله واستقر بها، وأبلغ زوجته وابنته بأنه ذاهب إلى القاهرة لمرافقة أخيه طوال فترة مرضه حتى يتماثل للشفاء، وسيقوم بالاتصال بهما يوميًا ليطمئنهما عليه. وعندما أرادت ابنته وزوجته أن تذهبا إلى القاهرة لرؤية ماجد، طلب منهما التريث قليلًا حتى تستقر حالته، وأنه سوف يحضر إليهما ويصطحبهما لرؤيته في القريب.

أنفق محمود وقته في الإسكندرية يتنقل بين ملهى وآخر، يحاول تعويض سنوات الحرمان التي عاشها في مخيلته فقط.

وفي إحدى هذه الملاهي تعرف محمود على فتاة لفت أنظارها هذا الرجل الذي ينفق كل تلك الأموال بلا حساب، وأخبرها بأنه تعيس في حياته لأنه كان يتمنى أن يرزقه الله بولد يرث أمواله وممتلكاته، التي أفنى سنوات عمره في جمعها، وأنه شخصية مرموقة في محافظته وزوجته هي ابنة احد أعيانها، وأنه لا يستطيع الزواج بأخرى حرصًا على مصالحه مع عائلة زوجته، إلى غير ذلك من الأكاذيب التي صورها لها خياله لسردها.

أخذت الفتاة تنصت إليه كل ليلة وتتقرب إليه، إلى أن نصبت شباكها حوله وجعلته لا يستطيع الاستغناء عن لقائها كل يوم، وعندما أحست بأن الوقت قد آن لاقتناص تلك الفرصة وجعل محمود البحيري يطلب الزواج منها، قامت بالاتفاق مع مشحوت بالاختفاء فترة من الوقت عن عيني محمود، حتى يجن جنونه ويبحث عنها، وعندها تكون قد اكتملت خطتها للإيقاع به وتطلب منه الزواج ليرزقه الله بالولد الذي يتمناه، ووافقها مشحوت على ذلك نظير وعد منها بمنحه مبلغ كبير من المال.

استمر هذا الحال بضعة أيام، ومحمود يبحث عنها في كل مكان، حتى جاءه مشحوت وأخبره بأنه قد عثر عليها، فذهب إليها في الحال، وعندها أخبرته بأنها لا تستطيع أن تقيم علاقة

مع شخص ما إلا بالزواج؛ "حرصًا منها على مستقبل ابنها الذي سوف تنجبه".

وعندما سمع محمود كلامها ورغبتها في إنجاب ولد يحمل اسمه، عرض عليها الزواج في الحال، وقام بشراء شقة فاخرة لها وسيارة حديثة، ونصف مليون جنية مهرًا لها، وتم الزواج والاتفاق بينهما على أن تقيم في الإسكندرية ولا يعلم أحد بأمر هذا الزواج حتى تحين الفرصة لإعلانه.

- ٨ -

في تلك الأثناء تحسنت حالة دكتور ماجد قليلًا، وأبناؤه الثلاثة يتناوبون على مرافقته مع صديق عمره ومستشاره الأستاذ علي، وعندما بدأوا يسألون عن عمهم، أخبرهم الأستاذ علي بأنه يحضر يوميًا أثناء تواجدهم في الجامعة للاطمئنان على والدهم، وأن دكتور ماجد قد طلب إليه أن يمكث في البلد ويحل محله في رعاية مصالحهم الخاصة ومصالح أهل الدائرة حتى يتماثل للشفاء وتنتهي امتحانات آخر العام لهم، وكان هذا الاتفاق بين الدكتور ماجد وصديقه علي ألا يخبر أبناءه بما حدث حتى الانتهاء من فترة امتحاناهم هذا العام، ويتماثل هو للشفاء ويخبرهم بنفسه.

انتهت الامتحانات وتحسنت حالة دكتور ماجد، عندما علم بظهور نتائج أبنائه وتفوقهم كالمعتاد، وكانت هذه الأخبار بمثابة الدواء الذي جعل ماجد يشعر بالطمأنينة والراحة على مستقبل أبنائه الثلاثة، أخذ يحرك لسانه بالدعاء، ويهنئ أبناءه بالنجاح والتفوق. واجتمع الأبناء الثلاثة عند والدهم بالمستشفى يحتفلون بشفائه وظهور نتائجهم، واستفسر فارس عن عدم تواجد عمهم وعدم ظهوره، وطلب والدهم أن يبقى دائمًا في البلد، لم يرد ماجد على استفسار فارس بل طلب منه أن يتركه هو والأستاذ علي وأحمد بمفردهم لبعض الوقت.

خرج فارس وأخوه طارق من غرفة والدهم من المستـــشفى بناءً على رغبته، وهو يتساءل عن السبب وراء هذا الاجتماع، ولا يجد إجابه لتساؤلاته.

وعندما خلت الغرفة إلا من ثلاثتهم، أخبر ماجد الـــبحيري ابنه أحمد بما فعله أخوه، وطلب منه أن يتركه يـــستمتع بهــذه الثروة التي لن تدوم، وأخبره بأنه ظل طوال حياته في قلق دائم على مستقبلهم كلما ازدادت ثروته؛ وكان دائمًـــا يقـــول إن الإنسان لا يستطيع أن يملك كل شيء، المال والسلطة والأبناء الصالحين، لكنه الآن في قمة سعادته؛ لأن الشيء الذي فقده هو المال الذي أدى غرضه، وعـــوض الله عليـــه خـــيرًا بالأبنـــاء الصالحين، ويكفيه أنه اطمأن الآن على مستقبلهم، وأنه سوف يموت وهو مطمئن أن الله راضي عنه.

كما أوصاه أن يجتهد هو وأشقاؤه في دراستهم، حتى يحققوا أحلامه التي تمناها، وأن يشقوا طريقهم في الحيـــاة بالكفـــاح والعمل ليرضى الله عليهم، وليحافظوا على اسمه وتاريخه العريق ونزاهته في أداء الأمانة التي وضعت في عنقه، وطلب منه أيـــضًا ألا يتخلى عن نجلاء، ويعتبرها أخته إن لم يستطع الزواج منها؛ فلا ذنب لها بما فعله والدها.

خرج أحمد من غرفة والده وعلامات الآسى والحزن باديـــة على وجهه، وأخبر أشقاءه بما قاله له والدهم وأوصـــاه بـــه،

استمع فارس وطارق له وهما في قمة الغضب مما قام به عمهم وفعله بوالدهم وبهم بعد كل تلك السنوات، التي كان والدهم فيها نعم الأخ والأب له، وأخذ فارس على نفسه عهدًا بينه وبين نفسه، أن يسترد كل شيء حصل عليه عمه، وأن يرد له الصاع صاعين.

خرج الأبناء الثلاثة من المستشفى تنازعهم الأفكار، وتدور في رؤوسهم تلك الأحداث، وهم لا يصدقون أن ذلك من الممكن أن يحدث من عمهم الذي يعتبرونه أبًا ثانيًا لهما، ووصية والدهم لهم بألا يناصبوه العداء، وأن يرضوا بقضاء الله وقدره والاعتماد على أنفسهم في بناء مستقبلهم. وفي نفس اللحظة التي وصلوا فيها إلى منزلهم، اتصل بهم الأستاذ علي وأخبرهم بوفاة والدهم بعد خروجهم مباشرة.

عادوا مسرعين إلى المستشفى ليلقوا نظرة الوداع على والدهم، ويقوموا بإنهاء إجراءات الدفن، واصطحبوا جثمانه إلى مسقط رأسه، ليدفن بجوار زوجته في مدافن العائلة بمسقط رأسه.

أشيع خبر وفاة الدكتور ماجد البحيري بين أهالي محافظته ودائرته؛ فوقع الخبر عليهم كالصاعقة، وعم الحزن الجميع، لفقدهم الرجل الذي كان يساندهم دائمًا ويدافع عنهم، ويعمل

دائمًا على مصالحهم ومستقبل أبنائهم؛ رجلًا لن يتكرر ثانيًا في هذا الزمان. وقد كانت جنازته مشهدًا مهيبًا حضرها الآلاف من أبناء محافظته، بجانب الكثير من الوزراء وأعضاء مجلسي الشعب والشورى، وتناقلتها وسائل الإعلام المحلية والفضائية.

وبعد مواراة جثمان الدكتور ماجد مثواه الأخير، انتقل الجميع لسرادق العزاء الذي أعده العمدة أخو الحاجة جوهرة - رحمها الله، ليستقبل فيه هو وأبناء أخته الأفواج التي حضرت لتقديم واجب العزاء في المغفور له.

حضر محمود البحيري ليشارك أبناء أخيه في تلقي العزاء وهو يرسم علامات الحزن والأسى على وجهه، فمنعه فارس وأقسم أن يطلق عليه النار إذا وطئت قدمه سرادق العزاء، فخرج أحمد وخاله العمدة إلى محمود البحيري وأخذا يرجواه بالابتعاد الآن كي لا يشعر أحد بما حدث وينتشر الخبر، حرصًا منهم جميعًا على اسم الرجل الذي لاقى ربه منذ ساعات.

امتثل محمود البحيري للأمر رغمًا عنه وتجنبًا لغضب فارس وخوفًا من تنفيذ تهديده له بإطلاق النار عليه، وعاد وهو غاضب إلى منزله، وحينما رأته نجلاء ارتمت في أحضانه وأخذت تبكي وهي تقول: "مات عمي يا أبي".

لم يستطع الرد عليها، بل تركها وذهب إلى غرفته، وهو مشتت الفكر بين ما فعله فارس وبين وجه ابنته وهي تبكي أخيه في أحضانه، والذي كان هو سببًا في وفاته.

مرت أيام العزاء على محمود وكأنها السعير تلتهم أحشاؤه، وهو ينتظر ما سوف يحدث من أبناء أخيه تجاهه، ويرسم الخطط هو وخفيره مشحوت لإبعادهم عن البلدة بجميع الطرق، حتى لا يكونوا عقبة في طريقه لتحقيق أطماعه وتمكنه من السيطرة على زمام الأمور، وحتى لا يتطرق الأمر ويعلم به أهل الدائرة، ويناصبوه العداء، وقام خفيره بنصحه بألا يقدم هو على عمل أي شيء حتى يرى رد فعل الأبناء، فهم لا يستطيعون أن يسيئوا إليه، حرصًا منهم على اسم والدهم وخوفًا من تشويه سمعته حينما يقال إن أبناءه يناصبون عمهم العداء بسبب ميراثهم، فرجع محمود عما يدور في رأسه.

-٩-

حضر العمدة خال الأبناء الثلاثة بصحبة ابنـــه الأكـــبر إلى منزل الدكتور ماجد بعد انتهاء أيام العزاء؛ ليتشاور معهم فيما هم مقبلين عليه بعد استيلاء عمهم على جميع ممتلكات والدهم، وتدبُّر الأمر معهم في كيفية تدبير نفقات معيشتهم، حيـــث لم يتبقَّ لهم سوى المنزل الذي يقيمون به، والذي كتبه والـــدهم باسم أخته قبل وفاتها، وشقة القاهرة التي قام والدهم بـــشرائها باسم أحمد حينما انتقل للدراسة بالقاهرة، وسيارة أحمد أيـــضًا التي قام أحمد بتوفير ثمنها من راتبه أثناء إدارته لشركة الاستيراد والتصدير.

سألهم خالهم عما قرروا عمله؛ فقال أحمـــد إنهـــم ســـوف يبيعون المنزل ليستطيعوا بثمنه إنشاء مشروع صـــغير، ولـــتكن شركة صغيرة للاستيراد والتصدير حتى يـــستطيعوا اســـتكمال دراستهم التي تحتاج إلى نفقات كثيرة، وعندما سمع فارس ذلك قاطع أخاه قائلًا إن المنزل لن يباع؛ وأنه سيكون مقرًّا لحربهم مع عمهم من أجل استرداد حقهم وحق أبيهم".

فقال له أحمد: "ومن قال إننا سوف نحارب عمك؟" فقـــال فارس: "العقل يقول ذلك، إن من سرق حقي أحاربـــه حـــتى

أسترده؛ أيًا كان من سرقه". فقال أحمد: "إن أبانا قد أوصانا قبيل وفاته بعدم التعرض له".

فقال فارس: "إن أباك قد أوصاك أنت، أما أنا فلن أترك حقي وحق أبي، ولو كلفني ذلك حياتي، وإن كان أبوك قد سامحه فهذا لأنه أخوه، أما بالنسبة لي فهو ليس أخي إنما هو الآن عدو لي، تسبب في موت أبي، وسلبه أمواله وهو على قيد الحياة". وقال لأحمد إنه إذا أصر على بيع المترل فلن يبيع نصيبه، وسوف يبتعد عنهم بقية عمره.

فقال أحمد: "وكيف نعيش ونستكمل تعليمنا بدون مصدر دخل يعيننا على الحياة؟!" فقال فارس: "سوف نبحث عن عمل أنا وأنت، ونتكفل نحن الاثنان بنفقات طارق أثناء فترة دراسته"، فبكى طارق وقال إنه لا يريد أيضًا أن يباع المترل الذي شهد أجمل أيام حياته، ويرى في كل ركن منه والده ووالدهم، وإنه أيضًا سوف يبحث عن عمل.

لم يجد أحمد أمام إصرار أخويه إلا أن ينضم إليهما؛ فقام العمدة من مقامه وقال بحده إن المترل لن يباع، ولن يبحث أحدهم عن عمل وهو على قيد الحياة، وإن والدهم لها ميراث كبير كانت ترفض دائمًا أن تأخذه، وقد جاء اليوم الذي يجب أن يرده إلى أبنائها، وبإمكانهم عمل المشروع الذي يريدونه بعد

انتهائهم من دراستهم، وأنه سوف يتكفل بنفقاقم إلى أن يــتم ذلك، ولن يعمل منهم أحد حتى ينالوا جميعًا شهاداقم".

فقام فارس وقبَّل يد خاله وشكره على ما قاله، ثم قال إن ما رفضته والدقم وهي على قيد الحياة لن يقبلوه بعــد وفاقــا؛ فدهش العمدة مما قاله فارس، وسأله: "لماذا أنت عنيد؟"

فقال فارس: "لأنني ابن الدكتور ماجد البحيري والحاجــة جوهرة، الذان غرسا في عروقي عزة النفس، وعلماني كيــف أصبح رجلًا أمام الظروف التي تقابلني".. ثم نظر إلى أخويــه، وقال إن شقيقيه يؤيدانه فيما قال؛ لأنهما أيضًا أبناؤهما.

ولم يكن أمام خالهم إلا أن أعطاهم مبلغًا من المــال علــى يتدبروا به أمرهم ومن ثم يردونه له، فوافقوا بناء علــى هــذا الشرط.

- ١٠ -

بعد بضعة أيام جاء إسلام ابن العمدة ليرى أبناء عمته فلـــم يجد إلا طارق في المترل، فسأله عن فارس وأحمـــد فـــأخبره أن أحمد في القاهرة، أما فارس فقد خرج بالحصان. أراد إســـلام الانصراف فطلب منه أن يصطحبه معه في سيارته؛ ليعيـــده إلى مترله، ثم يعود هو إلى مغاوري الصعيدي على الطريق؛ ليجلس معه..

وبعدما قام طارق بتوصيل ابن خاله ذهب إلى مغاوري ليراه ويجلس معه بعض الوقت، وعندما رآه مغاوري قادمًا قام مـــن مجلسه واحتضنه وهو يبكي حزنًا على والده، فبكى طارق أيضًا على بكائه، وقال له: "إن أبي - رحمه الله - كان يراك دائمًـــا أخًا كبيرًا لنا وابنًا له". فقال له مغاوري: "نعم وأنا أيضًا كان لي بمثابة الوالد، ولو استطعت كنت فديته بعمري، ولكنه قضاء الله"، فتذكر طارق موقف مغاوري يوم وفاة والده وهو يبكي بكاءً شديد ويهيل التراب على رأسه، وكيف وقف بجانبه هـــو وأشقاؤه يتلقى العزاء.

انتبه طارق لصوت مغاوري وهو يتذكر استقبال الـــدكتور ماجد له في بداية مجيئه إلى هذا البلد، ثم قال إنـــه لـــولاه مـــا استطاع استكمال مهمته، فقاطعه طارق يسأله: "عن أي مهمة تتحدث؟"

فانتبه مغاوري إلى سؤال طارق، وقال له إنه سوف يطلعه على سر وطلب منه ألا يخبر به أحدًا، فعاهده طارق على ذلك، فقال له إنه مطلوب للثأر، وأن الدكتور ماجد عندما علم ذلك - وكان صديقًا لوالده - ساعده في ترتيب إقامه له هنا وتوفير عمل له في صيد الأسماك، حتى لا يتعرف عليه من يريدون الثأر منه، وأنه يعتبر ما هو فيه "مهمة".

ثم قام مغاوري وأحضر بعضًا من الفحم، واستوقد نارًا وأخذ يضع الأسماك عليها ليصنع طعامًا؛ بناء على رغبة طارق.

وبينما كان فارس عائدًا يمتطي حصانه الأبيض الذي كان بمنزل خاله وقت استيلاء عمه على ممتلكاتهم؛ إذا بعمه أمامه بسيارته ومعه خفيره مشحوت، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقيان فيها منذ وفاة دكتور ماجد، فأوقف عمه السيارة واتجه بنظره إلى فارس الذي أوقف حصانه أيضًا، ثم قال: "ما دمت قد أصبحت رجلًا وتستطيع أن تهدد بإطلاق النار فلماذا تركب حصانًا ليس ملكك؟" وأشار إلى الحصان، فنظر إليه فارس وهو يردد جملته: "حصانًا ليس ملكك!! ألا تستحي من نفسك؟!"

فشحب وجه عمه، وأمر مشحوت الخفير أن ينزل ويسحب الحصان ويتبعه إلى المنزل، فنزل مشحوت من السيارة كما أمرة سيده، وأمسك بلجام الحصان، فقام فارس بضربه بالسوط على رأسه، وقال له: "ارفع يدك أيها الحقير من فوق الحصان؛ لأنه

أفضل منك وأفضل من ولي نعمتك، فهو لا يعرف الخيانة، ولا يرفس اليد التي تقدم له الطعام".

فنظر إليه عمه وسأله: "من تقصد يا عديمَ التربية؟" فأجابه فارس: "أقصدك أنت.. وأرجوك أن تتكرم وتنزل من سيارتك وتعيد تربيتي من جديد إن كنتُ بالفعل عديم التربية، وسأجعلك عبرةً لكل أهل القرية"، ثم صمت فارس لحظة قبل أن يستكمل حديثه قائلًا لعمه: "لا تتخيل أني سوف أحترمك كما كنت من قبل.. فهذا الزمن ولى وانتهى.

فقال له عمه: "سوف أريك كيف أستطيع أن أسترجع هذا الحصان ثانيةً".

فقال فارس: "أتمنى ذلك.. حتى أشعر بأنني أقف الآن أمام رجلٍ بحق لا إمَّعة".

وعندما لم يجد محمود البحيري ما يرد به عليه انطلق بسيارته على الفور والقلق بادٍ على وجهه، فهو يعلم تمامًا جرأة فارس ويخاف منها ويضع لها ألف حساب.

تركه فارس وذهب إلى مغاوري فرأى طارق عنده، ووجد مغاوري قد انتهى من تحضير الطعام فجلس يأكل معهما. وبعد الانتهاء كانت صلاة المغرب قد اقترب موعدها، فاستأذنا مغاوري وانصرفا إلى المنزل، فترك طارق سيارته أمامه، وذهب

مع فارس إلى المسجد لأداء الصلاة، وعند عودتهما لم يجد طارق سيارته في مكانها، فسأل - متعجبًا - الخفير الذي أحضره لهم خالهم، فقال له إن عمه قد أتى ومعه رجل آخر وأخذ السيارة و لم يأخذ الحصان الذي كان بجوارها، وأمره أيضًا أن يبلغ فارسًا بجملة واحدة وهي: "كل واحد أولى بحقه". فقال فارس وقد تملكه الغيظ: "صدقت يا عمي.. كل واحد أولى بحقه".

ذهب طارق مسرعًا إلى حجرته وأخذ يبكي، فتبعه فارس ودخل عليه وقال له بحدة: "لماذا تبكي؟" فقال له إن هذه السيارة أغلى شيء في حياته. فقال له فارس: "إن شاء الله سوف نشتري لك سيارة أفضل منها". فقال له طارق: "أنا لا أريد أفضل منها، أنا أريدها هي؛ لأنها آخر شيء اشتراه لي أبي قبل وفاته".

لم يستطع فارس أن يرى أخاه وهو على هذه الحالة من الحزن والبكاء، فتركه وامتطى حصانه إلى مترل خاله، وأخبره بما فعل عمه، واتفقا معًا على خطه لاسترجاع السيارة لطارق مرة أخرى.

أما طارق فقد ذهب إلى عمه وطلب منه أن يعطيه السيارة، وأن يكتب له إيصال أمانة بالمبلغ الذي يحدده، فرفض عمه

ذلك بإصرار، وضحك مستهزئًا به قائلًا: "وهل تملك شيئًا حتى تدفع لي". ثم استرسل وقال له: "اطلب من فارس بك أن يشتري لك غيرها". خرج طارق من مترل عمه ودموع عينيه تسابق خطواته وهو مطأطئ الرأس.

سمعت "أم نجلاء" الحوار الدائر بين زوجها وابن أخيه وهي في حالة من الذهول التام.. أهذا ما فعله زوجها بأبناء أخيه الرجل العظيم وزوجته السيدة جوهرة، أهذا زوجها الذي كان أخيه يعتبره واحدًا من أبنائه ولا يبخل عليه بأي شيء؟! أهذا أحد أبناء ماجد البحيري الذي كان زوجها يستهزئ به الآن وجعله يخرج من مترلهم وهو يبكي؟! محال هذا..

خرجت سريعًا لزوجها وهي تصرخ قائلةً إنها لا تصدق ما سمعته، وأنها في حلم بل كابوس، ثم قالت له إن ما فعله هو من أكبر الذنوب، وأن من يموت لا يأخذ معه في القبر سوى كفنه.

لم يستطع محمود الرد على كلام زوجته، و لم يكن أمامه إلا أن يصرخ في وجهها وهو يأمرها بأن تذهب إلى حجرتها، أما هي فقد قالت له إنها لن تعيش معه بعد هذا اليوم، فهي لا ترضى لنفسها ولا لابنتها أن تأكلا من مالٍ حرام، فقال لها: "إن كنتِ تريدين الذهاب فلتذهبي بمفردك، أما ابنتك فلا دخل لكِ بها"، فطلبت منه الطلاق، وعلى الفور قام بتطليقها، وكأنه

كان ينتظرها تطلب منه ذلك حتى يتفرغ لزوجته الجديدة بالإسكندرية، فخرجت أم نجلاء لتقضي بقية عمرها في منزل أخيها، وتركت ابنتها الوحيدة حائرةً في حب عمرها الذي فقدت الأمل في تحقيقه، وأمها التي ظلمها زوجها، ووالدها الذي أصبح لصًّا آكلًا لأموال اليتامى، وكل ذنبها في الحياة أنها ابنته الوحيدة، التي لا تستطيع الوقوف أمامه ولا تستطيع أيضًا أن تذهب مع والدتها لتعيش بعيدًا عنه.

بعد تلك الأحداث ذهب محمود البحيري إلى الإسكندرية ليلتقي بزوجته الجديدة، وظل هناك مدة أسبوعين حتى اكتشف بالمصادفة أنها تتعاطى حبوبًا لمنع الحمل، وعندها ثار البحيري وأخذ يضربها بكل قوته، وهو يسألها عن سبب ذلك، ويذكرها بما قالته له عن الإنجاب قبل الزواج؛ فأجابته وهي تبكي وتصرخ في وجهه: "أتريدني أن أنجب منك أنت أيها الفلاح". ثار الدم في عروقه بعد جملتها وانهال عليها بالسباب والركلات، وقام بتطليقها أيضًا دون أن يضع في حساباته كل الأموال التي أنفقها عليها، وكأنها عندما قالت له "يافلاح" ذكّرته بعقدته القديمة، وشعوره الدائم بأن الكثيرين ينظرون إليه على أنه دائمًا تابع لشخص آخر.

جلس فارس متأثرًا بدموع أخيه طارق وحزنه على فقدانه لسيارته، وقد عزم على أن يرد له نفس السيارة مهما كلفه ذلك من ثمن، فكان لا بد له من إيجاد طرف ثالث لا يعرفه عمه حتى يتم خطته التي فكر فيها لاسترداد السيارة. وبعدما أخبر خاله بما سوف يفعله، ذهبا معًا إلى أحد أصدقاء خاله العمدة، وهو تاجر من كبار تجار السيارات، وقاما بإبلاغه بما فعله محمود البحيري، والطريقة التي انتزع بها ممتلكاتهم وأموالهم، وأخيرًا سيارة طارق، واتفقا معه على أن يقوم بشراء السيارة من محمود البحيري باسمه، ومن ثم تنقل ملكيتها إلى طارق، وأخبراه بأن الذي يمكنه مساعدته وإقناع محمود البحيري على بيع السيارة هو مشحوت الخفير.

وفي اليوم التالي ذهب التاجر إلى مشحوت وأعطاه مواصفات سيارة تشبه سيارة طارق، وسأله إن كان يعرف أحدًا يمتلك سيارة بهذه المواصفات؛ لأن هناك من يحتاج إليها، ووعد مشحوت بمبلغ كبير من المال إذا عثر على هذه المواصفات عند أحد من سكان البلدة، وعلى الفور ذهب مشحوت إلى محمود البحيري وأخبره أن الفرصة قد جاءته للتخلص من سيارة طارق، حتى يبتعد عن المشاكل التي قد

يثيرها فارس للحصول على سيارة أخيه، وبذلك يتخلص من السيارة وفارس في نفس الوقت.

وافقه محمود البحيري على الفور، وذهب مشحوت ليخبر التاجر بأنه وجد مواصفات السيارة التي يريدها، وأنه أقنع صاحبها ببيعها له، وفي اليوم التالي حضر التاجر إلى مترل محمود البحيري، وهناك عاين التاجر السيارة وقاموا بإبرام عقد البيع، ثم ذهب بصحبة محمود إلى إدارة المرور لنقل ملكيتها إليه. وفي طريق عودقم أصر محمود البحيري على دعوة التاجر للغداء معه بمترله، فاعتذر التاجر له بسبب بعض الأعمال التي لا بد أن يتمها في هذا الوقت، ووعده بأن يأتي ليتناول العشاء معه. ذهب محمود وقام التاجر بالاتصال بفارس وأخبره بما حدث، وأن السيارة الآن بحوزته، فذهب فارس على الفور ومعه طارق وانطلقوا إلى إدارة المرور لتسجيل السيارة مرة أخرى باسم طارق.

وفي المساء ذهب التاجر إلى محمود لتلبيه دعوته إلى العشاء مثلما اتفق مع فارس، وبعد العشاء صحب البحيري ومشحوت التاجر إلى باب المترل ليستقل سيارته، وهناك فوجئ مشحوت وسيده بفارس يمر بالسيارة بقربهم، وهو يستمع إلى جهاز الراديو بصوتٍ مرتفع.

وعندما وصل فارس إلى جوارهم أوقف السيارة وترجَّل منها وأخذ يرحب بالتاجر ويشكره، ويطلب منه أن يذهب معه لتناول الشاي، شكره التاجر واعتذر له وبارك له على السيارة ووعده بزيارته مرة أخرى.

دار هذا الحوار بين التاجر وفارس، ومحمود البحيري هو ومشحوت في حالة من الصمت المطبق، لا يصدقان ما حدث منذ لحظات. ونظر بغضب إلى التاجر، وسأله: "هل بعت السيارة لهذا الولد؟"

تعجب الرجل من كلمة "ولد" التي وصف بها محمود فارس، وصمت قليلًا ثم سأل البحيري: "هل تقصد الدكتور فارس؟" فأجابه محمود وهو في قمة غضبه و ثورته: "نعم".

فقال الرجل: "نعم.. لقد اشتراها الدكتور فارس منذ أقل من ثلاث ساعات، وهو الشخص الذي طلب مني شراء سيارة بتلك المواصفات".

استشاط محمود غضبًا وقال للرجل: "سوف أعطيك ضعف ثمنها حتى ترجع عن بيع السيارة لفارس". فضحك الرجل وقال: "إن السيارة الآن ملك السيد طارق البحيري شقيق الدكتور فارس البحيري". وتركه واستقل سيارته.

وقبل أن يمضي الرجل نظر إلى البحيري؛ وقال لـــه إن مـــا يعرفه أن محمودًا هو ولي أمرهم بعد وفاة والدهم - رحمه الله، ثم اقترح على البحيري أن يذهب إلى أبناء أخيه ويخبرهم بأنـــه يرغب في شراء السيارة، ويمكنه أن يعرض عليهم أيضًا أن يزيد ثمنها إلى الضعف ويستردها.



الفصل الثاني

فارس الانتقام



- ١٢ -

بدأ العام الدراسي الجديد، وسافر أحمد وإخوته إلى القاهرة لاستئناف دراستهم، وأخذ فارس يبحث عن عمل يتناسب مع أوقات محاضراته في الكلية، وعثر عليه في إحدى المستشفيات الخاصة في قسم الاستقبال، وقد كان يأمل دائمًا في بناء مستشفى في محافظته تحقيقًا لرغبة والده - رحمه الله، وأن يخصص بها قسمًا بالمجان لعلاج أهالي محافظته الذين لا يستطيعون توفير نفقات العلاج.

ذهب فارس إلى الجامعة في اليوم الدراسي الأول وفي ذهنه أن يصارح سماح بكل الظروف التي مرت بهما منذ وفاة والده، ويحل وعده لها بالارتباط بها بعد تخرجه، برغم حبه الشديد لها وإشفاقه عليها من مستقبل يراه مظلمًا، إلى أن يسترد ما سلبه منهم عمه.

توجهت سماح إلى فارس مسرعة بمجرد رؤيته، ترحب به في اشتياق، قدمت إليه واجب العزاء، وأخبرته بأنها قامت بإرسال برقية عزاء له عندما علمت بالخبر الحزين، وأنها حاولت الاتصال به على هاتفه المحمول عدة مرات للاطمئنان عليه، وتعجبت كثيرًا لعدم رده عليها، وعَزَت ذلك إلى الظروف التي يمر بها بعد وفاة والده.

اعتذر لها فارس، وأخبرها بأن الأحداث التي مر بها منذ وفاة والده جعلته يفكر كثيرًا في قرار ارتباطه بها، وأنه لا يريـــد أن يتسبب لها في حياة تعيسة غير مستقرة بجانبه، هي التي اعتادت الحياة الرغيدة في منزل والدها لواء الشرطة المعروف، تعجبـــت سماح من كلامه معها وتغيره من جانبها وسألته عن سبب كل ذلك.

قال فارس: "ألم تلاحظي شيئًا مختلفًا اليوم؟ نظـــرت إليـــه مجددًا وقالت: "أنت كما أنت.. فارس البحيري.. الـــشخص الذي أحبه وأحس بجانبه بالدفء والأمان"، رد عليها فـــارس بحدة: "أي أمان الذي تتحدثين عنه؟!!"، انتفضت سماح مـــن حدته المفاجئة، فاعتذر لها فارس مجددًا وروى لها ما مر به هـــو وإخوته منذ وفاة والدهم، إلى بحثه عن عمل لتـــوفير نفقـــات معيشته واستكمال دراسته، وأنه الآن لم يعد الشخص المناسب لها، ولا الرجل الغني الذي يستطيع توفير الحياة التي تستحقها.

تعجّبت سماح من كلام فارس وقالت له إن المال ليس كـــل ما يبحث عنه الإنسان حتى يجد السعادة التي يرجوها، فالمـــال كثيرًا ما يزول ولا يبقى سوى الرجال الذين يصنعونه، وإنها لم تحبه من أجل المال، ولا لأنه ابن ماجد البحيري، هي تحبه لأنه فارس فقط.

استمع فارس إليها وقال لها وقلبه يعتصر بالألم إن من الأفضل في الوقت الراهن أن يصبحا أصدقاء، وأن يتركا موضوع الارتباط للظروف، ووعدها أنه عندما تتحسن الأوضاع سوف تكون هي أول فتاة يقرر الارتباط بها، وافقت سماح على ذلك، ربما لأنها خافت أن تحرم نفسها حتى من صداقته، وربما لتجعله الأيام يغير موقفه.

أما أحمد فلقد أرسل له أحد أصدقاء والده من أعضاء مجلس الشعب، وعرض عليه إدارة شركه الاستيراد والتصدير الخاصة به، نظرًا لخبرة أحمد السابقة في إدارة شركة والده وإنجازاته بها، وقد كان أحمد يريد تقديم اعتذار عن السنة الأخيرة في الكلية، حتى تستقر أحوالهم وينتهي فارس من دراسته ويتم تعيينه، وأخبر صديق والده - صاحب الشركة - برغبته في ذلك، فأخبره الرجل أن يمارس عمله في الشركة في الفترة المسائية، بعد انتهاء محاضراته في الجامعة، وبذلك يستطيع أن يواصل دراسته بجانب عمله.

عندما عاد الثلاثة إلى البلد في إجازة، تفاجأ فارس بقـــرب موعد انتخابات مجلس الشعب، وتفاجأ أكثر عندما علـــم أن عمه ضمن المرشحين لخوض الانتخابات، أمام الأستاذ خالـــد العمري مرشح التيار الإسلامي، فقرر فارس أن يسانده، ووعده بأن يقف معه ضد عمه، وبالفعل كان فارس شبه ملازم لهـــذا الرجل في كل ندواته التي يقيمها في قرى الدائرة المختلفة، حتى إن فارس كان يأتي من القاهرة بعد انتهاء الدراسة، ويعـــود في الصباح الباكر، وأخذ إجازة من عمله حتى يتفرَّغ تمامًا للحرب التي أعلنها علانية لمنع عمه من الدخول تحت قبة البرلمان، وكان فارس في كل ندوة تقام للمرشح الجديد يقص للناخبين ما قام به عمه مع أبيه، إلا أن الوقت لم يكن في صالحه بسبب قـــرب موعد الانتخابات، ولم يستطع حضور كل الندوات في كـــل قرى الدائرة، ولم يعرف معظم البلدان التي لم يزرهـــا فـــارس حقيقة مرشحهم الجديد، فكان معظم أهـــالي هـــذه القـــرى مؤيدون لمحمود البحيري على أمل أن يكون مثل أخيه ماجـــد البحيري.

عندما علم محمود ما يقوم فارس به، وتـــأثير ذلـــك علـــى ناخبيه الذين أبدوا تعاطفهم مع فارس، ذهب إلى مأمور مركز

الشرطة، وعبر له عن خوفه من أن يذهب كرسي البرلمان بعيدًا عن عائلة البحيري، وأنه ما رشح نفسه إلا ليستكمل ما بـــدأه أخوه، وأنه مستعد لتقديم أي مساعدات من ماله الخاص حـــتى يصل لهدفه في ألا يذهب كرسي البرلمان بعيـــدًا عـــن عائلـــة البحيري. قال محمود ذلك لأنه يعلم أن المأمور من أجل المـــال سوف يسعى جاهدًا بكل الطرق لفوز محمود في الانتخابات.

ابتسم مأمور المركز وقال له: "تفضل العصير، ولا تقلق يـــا سيادة النائب".. ففرح محمود بنجاح تأثير المال على المـــأمور، وقال له إنه إذا أصبح عضوًا بمجلس الشعب فسوف يكافئـــه مكافأة لا يتوقعها، فقاطعه المأمور وقال إنه لا يهمه إلا مصلحة الدائرة بأن يكون لها عضو مثل محمود البحيري، ينفق من ماله الخاص على أهالي دائرته!! فهم محمود البحيري ما يرمي إليـــه المأمور فقال له: "أنا في خدمة سيادتك في أي مبلغ تطلبه".

فقال المأمور: "إن هذا المال ليس لي، لكنه من أجل مصلحة الدائرة".

فضحك البحيري بصوت عالٍ وقال له: "وأنا لم أقصد غير ذلك". وشاركه المأمور الضحك وقال له: "اكتب شيكًا بمبلغ نصف مليون جنيه، مقبول الدفع لحامله؛ حتى نستطيع تدبير أمر النجاح الساحق إن شاء الله".

نفّذ محمود ما طلبه منه المأمور، ونصحه المأمور بعرض بعض الأموال على أهالي قرى الدائرة في شكل مساعدات مادية لبعض المشروعات.

أخذ البحيري يسأل أهالي القرى التي يزورها عن الخدمات أو المنشآت التي يرغبون في إنشائها، فيقول له البعض إنهم يريدون بناء حضانة للأطفال، فيقوم البحيري بالتبرع بعدد من أطنان الأسمنت، وعدد من أمتار الرمل اللازمه للبناء، ويقول أهالي بعض القرى الأخرى أنهم يريدون إنارة بعض الشوارع فيعدهم بالتبرع بمجموعة من أعمدة الإنارة للقيام باللازم، وفي اليوم التالي يحضر لهم البحيري ما وعدهم به.

وقد كان المرشح خالد العمري من إحدى القرى الكبرى والتي يتمتع أهلها بوعي انتخابي كبير، وقد يتعدى عدد الأصوات بها العشرة آلاف صوت؛ ولذلك فهو يأمل أن يكسب ثقة هؤلاء الناخبين، خاصةً إذا كان هذا المرشح واحدًا منهم مثل مرشحهم خالد العمري الذي كان يحبه كل أهل قريته؛ فهو إمام مسجدهم، ومدير المدرسة الابتدائية.

وعلى الجانب الآخر، كان لا بد لمأمور المركز الذي وعد البحيري بالنجاح أن يرسم خطة لضياع كل هذه الأصوات من خالد.

جاء يوم الانتخابات وافتعل بعض الأشخاص بالاتفاق مع المأمور، بعض أعمال الشغب أمام لجنة الانتخاب في هذه القرية وقامت على إثرها مشاجرة كبيرة، وقامت الشرطة بأمر من السيد المأمور بتفريق جميع من كانوا هناك، ومنع الجميع من الدخول للإدلاء بأصواتهم بحجة فض النزاع، ولم يكن أمام خالد إلا أن قام بالاتصال بالسيد مدير الأمن وأبلغه بالواقعة، فقام سيادته بالاتصال بالمأمور الذي انتقل إلى هناك، واتصل بالسيد مدير الأمن وأخبره بأن المواطنين يباشرون حقهم الانتخابي في الإدلاء بأصواتهم، وأن كل الأمور تحت سيطرة رجال الشرطة، وهو يباشر الأمر بنفسه، وبعد أن اطمئن مدير الأمن لأن المأمور ذهب بنفسه لمتابعة الوضع هناك، اتصل بالمرشح خالد العمري وطمأنه بأن كل الأمور تحت السيطرة وأنه تأكد من ذلك بنفسه، وأن مأمور المركز يتحكم الآن في زمام الأمور، وأن العملية الانتخابية تتم الآن على أكمل وجه.

مرت ثلاث ساعات أخرى وذهب السيد خالد ليرى بنفسه الوضع القائم أمام لجنة الانتخابات، فوجد الحال كما هو عليه، وحدثت بينه وبين المأمور مشادة كلامية قام على إثرها بالاتصال ثانية بالسيد مدير الأمن وأبلغه بالوضع الحالي، فقام مدير الأمن بإرسال لجنة من أمن الدولة تتألف من مقدم وبعض الضباط والجنود.

وكان السيد المأمور على علم مسبق بكل القادمين وعددهم، فتحرك سيادته إلى خارج القرية واستقبل اللجنة التي أرسلها السيد مدير الأمن، وهناك أخذ يقنع قائد اللجنة أن الحكومة بأكملها ترغب في تقليل مرشحي التيار الإسلامي، وأنه من الأولى أن يقف الجميع بجوار المرشح الثاني شقيق ماجد البحيري، وأهدى عشرة آلاف جنيه إلى المقدم على سبيل الهدية من العضو المنتظر، وربما يكون السبب في موافقة الضابط على قبول الهدية هو تعاطفه مع شقيق الدكتور ماجد الذي كان يعرفه الجميع، وربما كان السبب الثاني هو فرح الرجل بمبلغ الرشوة الكبير الذي لن يعرف به أحد، خاصة أنه مقدم من ضابط مثله.

عندما وصل المقدم إلى القرية، قام بالاتصال بالسيد مدير الأمن وأبلغه بأن كل شيء على ما يرام، والناخبين يترددون على لجنة الانتخاب بشكل طبيعي، وتحت حماية رجال الشرطة، وأن السيد المأمور يباشر العملية خطوة بخطوة لضمان وصول الناخبين إلى صناديق الاقتراع والإدلاء بأصواتهم.

كل تلك الأحداث جعلت الوقت المتبقي للإدلاء بالأصوات أقل من الساعة، ولن تسع تلك الساعة لدخول كل هؤلاء الناخبين، خاصة أن عدد من أدلوا بأصواتهم بالفعل لم

يصل إلى نسبة العشرين بالمائة من عدد الناخبين الإجمالي في هذه القرية.

بعد انتهاء الوقت المحدد للانتخاب تم قفل الصناديق بالشمع الأحمر، وتم نقلها إلى مركز الشرطة استعدادًا لفرز الأصوات، وقد قام الأستاذ خالد العمري بتوكيل فارس لحضور عملية الفرز، جلس فارس بتحدٍّ في حجرة الفرز أثناء وجود عمه بها، وعندما أشارت الدلائل تقدم عمه في عدد أصوات الناخبين، ترك مكانه واستأذن من موكله، وعاد إلى منزله ينتظر الخبر الذي لا يريد أن يسمعه، وعقب أذان الفجر كانت لجنة الفرز قد انتهت من مهمتها معلنةً أحقية محمود البحيري بكرسي مجلس الشعب نائبًا عن هذه الدائرة، ليحل محل أخيه ماجد البحيري، وتعلن فوزه الساحق على خالد العمري بفارق خمسة آلاف صوت، من ضمنها الأصوات التي منع من الإدلاء بها أهل قريته، والتي تعدت ثمانية آلاف صوت.

هذا النجاح الذي وصل له البحيري، هو في حد ذاته هزيمةً للنزاهة، وحرية الاختيار، وانتصارًا للمال والرشوة والمحسوبية على الضمير، الذي أصبح سلعة يباع ويشترى مثل باقي السلع، بل وأحيانًا يحتكر الضمير، ويصبح سلعةً نادرة، لا يمكن الوصول إليها، كما كان نجاح البحيري هو هزيمة أيضًا لأبناء

أخيه، وخاصة فارس الذي اعتبر أن عمه بجانب استيلائه علـــى ممتلكاتهم، سلب أيضًا كرسي المجلس بدون أدنى حق. ســـلب حرية الأفراد في أقل حقوقهم، وهي اختيار من يمثلـــهم أمـــام الحكومة برغبتهم.

كيف يستطيع من اختاره المال والرشوة أن يعبر عن هؤلاء الأفراد، وكيف يتوافر نقيضان في شخصٍ واحد، فلا يجوز لمن كان ظالمًا أن يلجأ إليه المظلوم ليقتص له ممن ظلمـــه؛ ففاقـــد الشيء لا يعطيه.

بعد انتهاء الانتخابات واستيلاء محمود البحيري على مقعد تحت قبة البرلمان، اتفق مع مشحوت على أن يقوم هو وأعوانه، بسرقة ما قام بالتبرع به للأهالي أثناء الدعاية الانتخابية، ونفـــذ مشحوت ما أمره به، وفي اليوم التالي حـــضر إليـــه الأهـــالي ليخبروه بما حدث، ويطلبون منه التبرع مرة أخرى لاستكمال الأعمال التي بدأ في إنشائها، فقال لهم إنه لا دخـــل لـــه بمـــا حدث، وأنه لن يدفع أموالًا ويتم سرقتها مرة أخرى، واتهمهم بالإهمال والتحايل للاستيلاء على أمواله.

كان أحمد في القاهرة بعيدًا عن كل تلك الأحداث، وعندما تأخر فارس عن العودة إلى القاهرة لمتابعة دراسته وعمله، اتصل به ليخبره بضرورة عودته، ولكنه لم يتلق ردًا على اتـصالاته، انتابه القلق على فارس، وقام بتكرار المحاوله عدة مرات، إلى أن قامت بالرد عليه زوجة الخفير الخاص بحراسة منزلهم، وأبلغتـه بأن مؤيدين عمه أتوا ليلة فوزه في الانتخابات، أمام باب منزلهم وأخذوا يهتفون باسمه إلى ما بعد منتصف الليل، وعندما سمـع فارس هتافهم أغلق باب حجرته عليه، و لم يخرج منها و لم يكلم أحدًا منذ ثلاثة أيام؛ فاضطر أحمد إلى العودة إلى البلدة لرؤيـة أخيه.

وعندما دخل أحمد الحجرة وجد فارس في حاله يرثى لهـا، فاحتضن أخيه وهو يبكي ويقول إن كل شيء قد ضـاع، وإن عمه بعد أن سلب كل شيء من أبيه، سلب أيـضًا كرسـي البرلمان، فقاطعه أحمد قائلًا إنه إن استطاع عمهم أن يسلب كل ما سبق، فلن يستطيع أن يسلب السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها والدهم، ومهما بلغ من الشهرة والمال، لن يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه والدهم من حب واحترام من الجميع حتى بعد وفاته، ولن يستطيع أن يبني أمجادًا مثل التي بناها والدهم، والتي يتفاخر بها جميع أبناء الدائرة، بل وأبنـاء المحافظـة بأكملـها،

ويكفي أنه لن يستطيع أن ينجب ابنًا صالحًا مثل فارس الذي ما زال حزينًا على والده حتى الآن.

وقال أحمد لأخيه إن كل هذه الأموال التي يمتلكها عمه الآن لا تساوي أي شهادة سوف يحصل عليها أي منهم؛ ذلك لأن العلم لا يباع ولا يشترى ولا يساويه كل كنوز العالم أجمع، وإن هذا المال لن ينفعه، وإن نفعه في الدنيا لن ينفعه في الآخرة.

وذكَّر فارس بيوم وفاة زوجه عمه بدعائها لهم أن ينصرهم الله ويرد إليهم أموالهم ويبعد عنهم شر محمود البحيري وأمثاله.

وظهر على أحمد الحزن عندما تذكر أيضًا ما قالته له، إنه لا بد أن يسعى للزواج من نجلاء، فلا ذنب لها بما فعله أبوها، وبالرغم من تأكدها أن عمه لن يوافق على زواجه من ابنتها، إلا أنها طلبت منه أن يحاول معه ولا ييأس، وإن لم يستطع الزواج منها، فلا يتخلى عنها ويقف بجانبها مثل شقيقته.

قام فارس ووقف بجوار نافذة الحجرة التي تطل على الحديقة الواسعة، وأقسم بأنه سوف يجعل حياة عمه جحيمًا، عندما تذكر هو أيضًا يوم وفاة زوجة عمه التي كانت بمثابة الأم الثانية لهم، والتي قال فارس يوم وفاتها أن عمه أيضًا السبب في وفاتها، وهي التي أوصت قبل وفاتها بألا يحضر محمود البحيري مراسم تشيع جنازتها، وأن الذين يقومون بتلقي عزاءها بجانب أشقائها هم أبناؤها أحمد وفارس وطارق.

مرت عده أشهر وبدأ العام الدراسي الجديد، حاملًا معه أملًا جديدًا في تحسن أحوال الأشقاء الثلاثة، بعدما انتهى أحمد من دراسته، وتم تعيينه معيدًا بالكلية، واستقر عمله في شركة الاستيراد والتصدير، والذي أصبح يدر عليه الكثير من الأموال بعد ازدياد أرباحها عن طريق أحمد الذي استطاع يجلب إليها معظم عملاء شركة والده، وعندها طلب أحمد من فارس أن يتوقف عن عمله في المستشفى، لكنه رفض ذلك؛ لأنه فضل أن يكتسب خبرةً يومًا بعد يوم حتى يستطيع أن يدير المستشفى التي ينوي بناءها في المستقبل.

أحس أحمد أنه قد حقق أول أحلامه، وأمنية والده بتعيينه معيدًا بالكلية، وسعى جاهدًا لزيادة حجم معاملات الشركة التي يعمل بها، تقديرًا لصاحبها الذي سانده ووقف بجانبه حتى يحقق حلمه، إلى أن جاءه صاحب الشركة في يوم وأبلغه بأن ابنه الذي يعمل خارج البلاد طلب منه إنشاء شركة جديدة لتجارة الخضر والفاكهة، تكون مساندة لشركة الاستيراد والتصدير، على أن يكون أحمد شريكًا له بالإدارة وهو برأس المال، وطلب الرجل من أحمد أن ينهي إجراءات إشهار الشركة، واشترط عليه أن يسمي الشركة باسم والده الدكتور

"ماجد البحيري"، وأن يجعل الأرباح مناصفةً بينهما، بناءً على أوامر ابنه شريك أحمد الجديد.

كان هذا العرض الخيالي الذي عرضه الرجل على أحمد هو ما جعله في شدة الحيرة من هذا الرجل، وابنه الذي لم يره حتى الآن، وأخذ يسأل نفسه عشرات الأسئلة عن سبب ذلك.

وفي أقل من شهر كان أحمد قد انهى إجراءات إعلان الشركة الجديدة، بعدما وجد مكانًا متميزًا وقام بتجهيزه، وكتب عليه "شركة الدكتور ماجد البحيري لتجارة الخضر والفاكهة".

أما فارس فما زال يعمل في المستشفى، وهو يفكر دائمًا في كيفية الانتقام من عمه واسترداد أموالهم وممتلكاتهم منه، وكانت هناك فتاة تعمل ممرضة في المستشفى تحاول دائمًا التقرب منه، وكان الجميع يعلم عنها أنها "سيئة السمعة"، فانتهز فارس الفرصة وتقرب هو الآخر منها رغبة منه في الاستفادة منها في الإيقاع بعمه، وأقنع الفتاة أنها إن نفذت خطته كما خطط لها، فسوف تحظى بكل ما تريد من عمه.

وفي اليوم التالي ذهبت الفتاة إلى القرية والتقت بمحمود البحيري، وأخبرته أنها تريد شراء حصان من مجموعة الخيول العربية التي يمتلكها، وقالت له إنها علمت أن هذه الخيول لا يوجد مثلها في المحافظة بأكملها.

ولم يمضِ أيام على لقاء محمود البحيري والفتاة حتى استولت على قلبه وصحبها إلى القاهرة، واشترى لها شـــقه وســـيارة، وكان يمر عليها مع نهاية كل أسبوع ليقضيه معها في شـــقتها، وعندما اطمئن فارس إلى تواجد عمه بصفة دائمه نهايـــة كـــل أسبوع، وقام باستكمال خطته بزرع كاميرات في أنحاء مختلفة في شقة الفتاة، وقام بتصوير سيادة عضو مجلـــس الـــشعب في مواضع مخلة، واستخرج عددًا من الصور وأعطاهـــا لـــصحفي صديق له يعمل في إحدى المجلات التي تعمل دائمًا على كشف الحقائق والفساد لجميع أفراد الشعب، وقام الصحفي على الفور بنشر صور العضو المحترم، وأرسل نـــسخة منـــها إلى مجلـــس الشعب، وخلال ساعات تشكلت لجنة لتقصي الحقائق للتحقيق في الأمر.

فوجئ محمود البحيري بما حدث، وتأكد أن الذي فعلها هو فارس، عندما أرسل إليه نسخة من الصور ومن شريط الفيديو في مظروف كبير، كُتب عليه: "العدد الأول من سلسلة فارس التحدي".. والغريب أن فارس لم يظهر شريط الفديو لأحـــد، واكتفى بالصور التي أهداها لصديقه الصحفي، وربمـــا كـــان السبب الحقيقي وراء ذلك أنه رأى في إظهار الشريط فـــضيحة له قبل عمه، فهو في نهاية الأمر شقيق أبيه.

استعان محمود بأحد المستشارين الذي يمتلك مكتبًا شهيرًا للمحاماة، والذي كان هو الآخر عضو مجلس شعب، وأبلغه بما حدث، واعترف له بكل شيء، فطلب منه عنوان تلك الفتاة، ونصف مليون جنيه نظير أتعابه، بعدما وعده بالبراءة واستمرار الحصانة وعضوية المجلس.

وفي خلال أيام استطاع المستشار الوصول إلى الفتاة، واتفق معها على زواجها من محمود البحيري على أن يطلقها بعد الخروج من هذه المشكلة نظير مبلغ كبير من المال، وقام باصطحابها إلى قسم الشرطة هي ومحمود البحيري، وقاما بتقديم بلاغ قذف وسب على الجريدة، وعلى الصحفي الذي نشر هذه الصور، بعد أن أثبت بالأوراق أنها زوجة محمود البحيري، وقام بتقديم صورة من عقد الزواج الذي سجله المستشار بتاريخ سابق لنشر الصور، وتم نشر كل ذلك في إحدى الجرائد الحكومية.

وفي اليوم التالي استغل محمود البحيري انعقاد المجلس، وقام بمهاجمة أصحاب المجلات المعارضة، الذين يريدون تشويه صورة كل أعضاء مجلس الشعب الشرفاء، خاصة أعضاء الحزب الذي ينتمي إليه، وقال البحيري إن الذي دفعه لإخفاء زواجه وعدم إشهاره هو المحافظة على شعور ابنته الوحيدة حين تعلم أن والدها تزوج بفتاة تقاربها في السن، وأنه ما رشّح نفسه لمجلس

الشعب إلا ليستكمل ما بدأه أخوه الدكتور ماجد البحيري، الذي كان معروفًا عنه دائمًا الشرف والنزاهة.

لم يكن أمام المجله التي نشرت الصور سوى أن تعلن عدم مسئوليتها المباشرة عن الخبر، وأن الصحفي أراد بنشر هذا الخبر والصور لفت الأنظار إليه، سعيًا منه للشهرة والأضواء في بلاط صاحبة الجلالة، وقامت المجلة بتقديم اعتذار رسمي لمحمود البحيري، وبتكذيب الخبر على صفحات المجلة، ووضع المستندات الجديدة التي تفيد بأن الفتاة هي زوجة محمود البحيري.

استشاط غضب فارس عندما قرأ ما قامت الجريدة بنشره، بجانب حزنه على صديقه الذي أوقعه في هذا المأزق، بعدما فشلت خطته في التشهير بعمه وسحب الحصانة البرلمانية منه، وذهب إلى سماح، وطلب منها مقابلة والدها اللواء الذي يعمل بوزارة الداخليه لأمر مهم للغاية، وقامت سماح على الفور بالاتصال بوالدها وتحديد موعد معه لمقابلة فارس صديقها!

قام اللواء باستقبال فارس في مكتبه، وأخبره فارس بما قام به، وبأنه السبب في ضياع مستقبل الصحفي بسبب اندفاعه لتحقيق رغبته في الانتقام من عمه، فأخبره سياده اللواء بأنه سوف يقوم بالتصرف حيال هذا الأمر، ونصحه بالابتعاد عن تلك الحيل التي سوف تسبب له الكثير من المشكلات، والتي

تسيء أيضًا إلى سمعة ماجد البحيري والده، وأن يترك الأمر للأيام التي سوف تظهر الحقيقة في وقتها، وطلب منه رقم هاتف عمه، وطمأنه بأنه سوف يسعى بنفسه لإنهاء هذا الأمر، وعودة صديقه الصحفي مرة أخرى لعمله.

وفي اليوم التالي اتصل السيد اللواء بمحمود البحيري، وأخبره بأنه يريد مقابلته في مكتبة لأمر مهم.

حضر محمود البحيري إلى مكتب سيادة اللواء في الموعد الذي حدده له مسبقًا، وهناك طلب من البحيري سحب شكواه ضد الصحفي، لأن معه من الأوراق ما يثبت التزوير في عقد الزواج وتسجيله بتاريخ مسبق لنشر الخبر، وأنه سوف يقدم هذه الأوراق، ويقوم بفتح تحقيق جديد، بما يزعزع ثقة المجلس فيه ويهدم مركزه ووضعه السياسي.

انصاع محمود البحيري لرغبة سيادة اللواء خوفًا من تفاقم الأمر، وذهب في الحال إلى سيادة المستشار بصحبة أحد الضباط، وطلب منه سحب القضية ضد المجلة وضد الصحفي.

فوجئ المستشار من طلب البحيري، وسأله عن السبب في ذلك بعد كل الانتصار الذي تم في القضية، وفي إثبات براءته من التهمة الموجهة إليه، فقال له إنه لا يحب أن يكون سببًا في إيذاء أي شخص، حتى ولو كان قد بدأ هو بإيذائه، فأذعن المستشار لرغبته، وقام بسحب البلاغ المقدم وتنازل محمود البحيري عن موقفه من الصحفي والجريدة.

أراد أحمد بعد أن استقرت ظروفه وتحسنت أحواله، أن يذهب إلى عمه ليطلب الزواج من نجلاء مرة أخرى، وكله أمل في أن يستجيب عمه لرغبته ورغبة ابنته في إتمام الزواج، فأبلغ خاله العمدة برغبته، واتفقا على الذهاب معًا إلى محمود البحيري.

ذهب أحمد وخاله العمدة لمقابلة محمود البحيري في منزله، وبعد الاستقبال الجاف منه لهما، شرع العمدة في الحديث عن أحمد ابن أخته، وأنه الشخص المناسب لابنته، فهو ابن عمها وأقدر الناس على الحفاظ عليها، وقد أصبح الآن معيدًا بالجامعة، وشريك في شركة للخضر والفاكهة، وأنه في يوم من الأيام سوف يصبح مثل ماجد البحيري في.....

لم ينتظر محمود البحيري أن يستمع إلى كلمة أخرى من العمدة، عندما جاء ذكر اسم ماجد البحيري، فقام من مجلسه وأنهى المقابلة بجملة واحدة: "لن يتزوجها حتى لو أصبح وزيرًا".

عندما علمت نجلاء بما فعله والدها مع أحمد، لم تستطع مواجهته أو التحدث إليه، فقد ساءت علاقتها به بعد طلاق

والدها ووفاتها، وساءت أكثر عندما نشرت فضائحه في الجرائد والقنوات التليفزيونية، مما حداه لأن يتجنب هو أيضًا مواجهتها، مما أسفر عن تواجد فجوة واسعة بينهما، فكانت لا تراه إلا مصادفة، ولا تتفوه معه إلا بتحية الصباح والمساء إذا رأته في طريقها بالمترل.

وفي اليوم التالي انتهزت نجلاء فرصة ذهاب والدها إلى القاهرة، وبُعد الخفير عن المترل، وذهبت إلى مترل عمها، فوجدت أحمد هناك، وأخبرته بأنها علمت بما حدث من والدها، وطلبت منه أن يتزوجها دون علمه، إلا أن أحمد رفض ذلك بشدة، وقال لها إنه لا يستطيع أن يتزوجها بهذه الطريقة. فقالت له إنها سوف تتركه يومين ليفكر في هذا العرض وبعدها يقرر الرد، رد عليها قائلًا: "إن هذا الأمر لا يحتاج إلى تفكير". بكت وقالت له: "هل تبيعني؟!" فقال لها: "بل أشتريك".

صرخ فارس الذي جلس منصتًا لهذا الحوار في وجه أخيه وهو يسأله: إلى متى ستظل سلبيًا وخائفًا من غضب عمك؟!

قال أحمد: "أنا لست خائفًا من أحد، لكني أخاف على سمعة نجلاء أكثر من خوفي على نفسي، فلا أحب أن أكون سببًا في أن يشير إليها الناس في يوم من الأيام ويقولون: هذه التي تركت والدها وتزوجت ابن عمها دون علمه". ثم نظر إلى

نجلاء وهي ما زالت تبكي وقال لها: "لقد جئنا إلى هذه الـــدنيا وأنتِ ابنة عمي وشقيقتي قبل أن تكوني حبيبتي، ولا أقبـــل أن أتسبب في أن يقال كلمـــة في حقـــك، ولا في فـــضيحتك أو فضيحة عمي، رغم كل ما فعله معنا؛ لأن شرفه من شرفي".

قاطعه فارس غاضبًا وقال له إن عمه هو الذي اختار ذلك، وإنهما يستطيعان الزواج وقضاء بقية عمرهما دون أن تأتي نجلاء إلى البلد مطلقًا، فقال أحمد إن الزواج بهذه الطريقة يعتبر حرامًا شرعًا، فلقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما معـــنى الحديث: "أيما امرأة تزوجت دون إذن وليها فنكاحها باطـــل". صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقامت نجلاء على الفور وخرجت من المترل وهي تبكـــي، ونظر إليه فارس غاضبًا ثم لحق بها.

جلس أحمد بعد أن خرجت نجلاء في حالة من الغم والحزن الشديد على فقدانه حلم حياته، وأخذ يبكي وهو يلوم نفـــسه على رفض طلب نجلاء منه للزواج، ويعود ويستعيذ بالله مـــن الشيطان الرجيم، ويسترجع كلمات والدتها - رحمهـــا الله - عند وفاتها، بأن يعتبر نجلاء أختًا له إذا لم يقدر الله لهما الزواج، وهو الآن بتصرفه حيال رفضه للزواج منها بدون موافقة أبيهـــا يحافظ عليها، لتظل دائمًا في نظر أهل البلـــدة بأكملـــها ابنـــة الحسب والأصول التي يضرب بها المثـــل في الأدب والجمـــال والأخلاق.

أصبح البحيري بعد واقعة نشر الصور وإثبات براءته منها من أشهر أعضاء مجلس الشعب، وظهوره في القنوات الفضائية مهاجمًا الجرائد المغرضة التي تنتشر عن طريق التشهير بالشخصيات العامة وتشويه صورة الشرفاء من السادة أعضاء مجلس الشعب.

وفي أحد لقاءاته في إحدى القنوات الفضائية، قامت مقدمة البرنامج بإحراجه عندما وجهت إليه فجأة سؤالًا حول تورطه في قضية الصور المخلة، وهو لماذا قام بتطليق الفتاة التي كانت زوجته عندما ظهرت براءته؟ ولماذا قام بالتنازل عن القضية المرفوعة ضد الجريدة والصحفي، وهو يؤكد دائمًا أن الصور والأدلة ملفقة، بان الحرج على وجه محمود البحيري واضطرب في رده على مقدمة البرنامج وهو يقول إنه لا يستطيع أن يعيش مع زوجة رأى جسدها الكثيرون في فضيحة مثل هذه وإن كانت بريئة، ثم إنه عندما قام بتطليقها لم يغضب ربه، ولم يرتكب جرمًا؛ فالإسلام لم يحرم الطلاق، فهو أبغض الحلال عند الله. أما عن الصحفي فهو لم يرغب في إضاعة مستقبل شاب في مقتبل حياته العملية، وأنه أيضًا يعلم أنه كان أداة في أيدي من أرادوا تشويه صورته أمام الرأي العام، وهو الشخص

العصامي المعروف عنه النزاهة، والذي بنى نفسه بنفسه، وكافح وسعى إلى عضوية مجلس الشعب من أجل خدمة أهالي قريتـــه، ومساندة الشباب والوقوف بجانبهم.

استغلت مقدمة البرنامج كلامه عن الشباب وفاجئته قائلة: "إن هناك إشاعة تقول إنك قمت بالاســـتيلاء علـــى أمـــوال وممتلكات أخيك عضو مجلس الشعب السابق الدكتور ماجـــد البحيري، والتخلي عن أبنائه بعد وفاته".

ظهر الغضب على وجه البحيري، وتعرَّق وجهه قائلًا: "إن ماجد البحيري كان معروفًا عنه نزاهته، ولم يتربَّح جنيهًا واحدًا من مجلس الشعب طوال فترة جلوسه على مقعده، وظل طوال حياته لا يملك إلا ما يتقاضاه من راتب في وظيفـــة الجامعـــة، وبضعة أفدنة تركها لهم والدهما قبل وفاته، فقد كـــان شـــغله الشاغل - رحمه الله - هـــو الحيـــاة الـــسياسية والاهتمـــام باحتياجات أهل دائرته، ولم يهتم بجمع المال أبدًا، وكـــل مـــا يملكه هو منزل في قريته فقط، أما عن ثروتي فهي من مشاريعي المختلفة، كالتجارة والزراعة وتربية المواشي، وكان الواضـــح أمام الجميع دائمًا أن ماجد هو صاحب كل هذه الأموال على اعتبار أنه أكثر شهرة. وقد يكون السبب الآخـــر أن ماجـــد البحيري لم ينفصل اقتصاديًّا عني طوال حياته، وبعد وفاته كان

من الطبيعي أن تظهر الكثير من الإشاعات، كما أنني عرضت على أبناء أخي ما يحتاجونه من أموال بعد وفاة أبيهم، لكنهم رفضوا ذلك وقرروا أن يبدءوا من الصفر من حيث بدأ أبوهم".

وكأن فارس قد قدم الشهرة لعمه على طبق من ذهب دون أن يشعر؛ فقد جعل منه نجمًا في معظم الجرائد والمجلات والفضائيات، من خلال حواراته الصحفية ولقاءاته التليفزيونية المتعددة.

ويبدو أن البحيري صدق كل ذلك، وأنه أصبح نجمًا في سماء السياسة، فقد انتابه الغرور، واعتقد أنه لا يستطيع أحد أن يقف أمامه، ومشحوت خلفه دائمًا ينمي لديه هذا الشعور، ويذكره دائمًا بأن أفكاره هي السبب في كل ما وصل إليه.

واعترافًا من البحيري بفضل مشحوت عليه أعطاه الكثير من الصلاحيات، حتى أصبح مدير أعماله، والمسئول عن كل المشروعات والأراضي التي يمتلكها البحيري، كما اشترى له سيارة فاخرة، وبنى له بيتًا فخمًا لا يقل عن منازل الأثرياء، حتى صار أحد أعيان القرية!!

تأكد مشحوت أن محمود البحيري الآن يثق فيه بدرجة كبيرة، ولا يستطيع الاستغناء عن وجوده بجانبه، فهو العقل المدبر والأداة المنفذة لكل أفعاله.

أراد مشحوت أن يقترض من محمود البحيري مبلغًا كبيرًا من المال لينشئ به أحد المشاريع، رفض محمود البحيري طلبه وأخبره أنه أعطاه الكثير، وإن أراد إنشاء أحد مشاريعه الخاصة فلينتظر إلى أن يصبح لديه المال الكافي لذلك، وعندها عرض عليه مشحوت أن يقوم بمشاركته في هذا المشروع، وهو يضمن له مضاعفة الأموال التي سوف يساهم بها في عدة أشهر قليلة.

تساءل محمود البحيري عن هذا المشروع الذي يضاعف أمواله بهذا الكم في فترة وجيزة، فأخبره مشحوت أن المشروع هو زراعة نبات البانجو.

ثار محمود البحيري، واتهم مشحوت بالجنون، لكن مشحوت طمأنه بأنه سوف يكون بعيدًا تمامًا، ثم أخذ مشحوت يشرح له أن هناك أحد التجار الذي سوف يقوم بزراعة النبات في الصحراء في مكان لا يستطيع رجال الشرطة الوصول إليه، وإذا تم اكتشافه فلن يعرفوا صاحبه خاصة أن رجال المباحث ما زال في اعتقادهم أن البانجو يزرع في وسط البراري في صفائح، ولا يلتفتون إلى الأراضي.

وأخذ يقنع البحيري بضرورة اقتناص فرصة لتعويض المبالغ التي فقدها البحيري على زيجاته المتكررة، ويعوض خسائره في مشروع الاستيراد والتصدير التي تزداد يومًا بعد يوم، وأنه لا بد

له من توفير المال اللازم للاستعداد للدورة الانتخابية القادمة، وأن يثبت لمن يشيعون عنه أنه استولى على أموال أخيه عكس ذلك، وأن أمواله بفضل خبرته في إدارة أعماله في ازدياد دائم.

وافق محمود على المشروع، وأخبر مشحوت أنه في حالة ما اكتشف الأمر فإنه لا علاقه به، ولضمان ذلك جعل مشحوت يقوم بكتابه إيصالًا بالمبلغ، ليضعه في خزانته حتى يسترد ما قام بدفعه مع الأرباح التي يضمنها له.

فرح محمود بالمكسب السريع والأرباح التي جناها خلال شهور، إلا أنه أخبر مشحوت بعدم تكرار ذلك مرة أخرى خوفًا من أن يعلم أحد الذين يتربصون به ويحاولون الإيقاع به.

انتهزت سماح فرصة وجود فارس بمفـــرده في "كافيتريـــا" الكلية، وذهبت إليه وسألته: "لماذا أنت قاسٍ لهذه الدرجـــة؟" فوجئ فارس بسؤال سماح له، وتردد قائلًا: "أنا لست قاســيًا، وإن كنت كما تدّعين فلو استطعت أن أقسو على نفسي فلـــن أستطيع أن أقسو عليكِ".

"ألم تحن لي طوال هذه الفترة؟"

لم يجبها فارس، ونظر في دفتر محاضراته، و لم يستطع الـــرد عليها. قالت له سماح بعد برهة من الوقت: "لماذا تعذب نفسك وتعذبني معك، وأنت تعلم إحساسي بك، وتبادلني أيضًا نفس الشعور، و......".

قاطعها وهو يقول لها إنه أيضًا يحبها أكثر من نفسه، ولكنه لا يستطيع أن يوفر لها هذه الحياة التي تعيشها الآن؛ ولا يرغب لها أن تعيش المعاناة التي يعيشها.

قالت له: "وما أدراك أنني أرغب في أن توفر لي حياة رغدة، فما أجمل المعاناة مع من نحب، إذا كانت باختيار من يخوضها".

فقال لها فارس إن ما تتحدث عنه الآن هي الأحلام الوردية التي نعيشها في مخيلتنا، لكنها لا تتحقق ولن تتحقـــق؛ لأنهـــا

مخالفة للواقع الذي نحياه، فأنا أعيش في صراع مع عمي، ولـــن أرتبط بأي فتاة إلا إذا أعدت حقي.

فقالت له إنها على استعداد أن تكون خلفه في صراعه مـــع عمه، حتى وإن كانت حربًا، وإنها مستعدة لتحمـــل عواقبـــها مهما كانت.

صمت فارس ونظر مرة أخرى في دفتر محاضراته، فنظرت له سماح وقالت له: "إن الحب لا يقتـــرن بالأنانيـــة". ثم تركتـــه وأخذت حقيبتها ومضت مـــسرعة، نهـــض فـــارس وأراد أن يستوقفها، إلا أنه عاد ثانيةً وجلس يفكر في آخر كلماتها.

عادت سماح إلى منزلها وألقت على والدها تحية المـــساء في توتر، واستأذنته ودخلت غرفتها وأخذت تبكي؛ ذهب إليهـــا والدها فحاولت إخفاء دموعها عنه، جلس بجانبها واحتـــضنها وطلب منها أن تصارحه بسر تلك الدموع التي تزين عينيها.

روت سماح لوالدها قصتها مع فارس، وإصراره على عـــدم الارتباط بها وهي تعلم مقدار حبه لها، وتبادله الحب وأكثر.

ابتسم لها والدها وهو يحرك رأسه لأعلى وأســـفل إعجابًـــا بموقف فارس، وقال لها: "إن مثل هذا الرجل مـــن الـــصعب التفريط فيه؛ لأنه مثل أبيه". تعجبت سماح مما قالـــه والـــدها،

وسألته إن كان يعرف والد فارس، فقال لها إنه كان يعرفه معرفة شخصية، وقد سبق وقام بزيارته في مترله بقريته أكثر من مرة، وطلب منها أن تنتبه الآن إلى دراستها، وأن الأيام كفيله بتطيب جراح فارس ومداواقما، وعندها يستطيع أن يتناول معهما الغداء الذي أضاعت وقته ببكائها، ابتسمت سماح واحتضنت والدها وقامت معه لتناول الطعام.

بعد الغداء قام والدها بالاتصال بفارس، وقال له إنه يريده لأمر غايه في الأهمية، وطلب منه تحديد المكان والميعاد الذي يناسبه، تعجب فارس من طلب والد سماح وأخذ يتساءل عن سبب هذا اللقاء، ولماذا طلب منه اختيار الميعاد والمكان؟ ولماذا لم يطلب منه أن يذهب إليه في مكتبه؟!

ذهب فارس قبل موعده للمكان الذي اتفق عليه مع والد سماح، تدور في رأسه مئات التساؤلات عن سبب هذه المقابلة، وفي الموعد المحدد حضر والد سماح، ورحب به فارس، وأخذ الرجل يتحدث عن والد فارس، ويخبره بأنه التقى به عدة مرات، بل ودعاه أيضًا إلى مترله بقريته، ولم يكن يعلم بأنه أحد أبنائه إلا عندما حضر إليه فارس لعرض مشكلة صديقه الصحفي، وأخذ يقول له إن أباه كان رجلًا من النادر تواجد مثله تلك الأيام.

استمع إليه فارس وهو في شدة الارتباك، وذهنه مشغول بسبب هذه المقابلة، إلى أن فاجأه بسؤاله: "ألم تتساءل لماذا طلبت مقابلتك؟" ارتبك فارس وتعثر في الكلام وهو يتمتم بأنه بالفعل يتساءل، فابتسم الرجل وقال له: "إن المثل الشعبي يقول: (اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك)"، زاد ارتباك فارس وجف حلقه، فنظر إليه والد سماح وناوله كوب عصير الليمون الذي أمامه وأخذ يرتشف منه ببطء، وهو يتحدث عن سماح وأخلاقها والتزامها، ففاجأه أبوها وسأله: "هل تحبها؟"

فلم يجبه فارس وأمسك كوب العصير ثانيةً، فكرر السؤال مرة أخرى: "هل تحبها؟" أجابه فارس وقد برقت عيناه من الدموع الحبيسة: "أحبها أكثر من نفسي". فسأله أبوها: "ولماذا تتخلى عنها ما دمت كذلك؟!" فقال له: "لأني أحبها".

قال له والدها: "أنت تناقض نفسك، ولا تعرف ماذا تريد، فإن كنت تحبها كل هذا الحب وهي تحبك، فلماذا تتركها لتكون لشخص آخر غيرك دون أن تفعل شيئًا؟!" قال فارس: "لأني لا أملك ما أقدمه لك ولابنتك سيادة اللواء، ولا أستطيع أن أوفر لها حياةً مثل التي تعيشها الآن".

قاطعه قائلًا إن الحياة الزوجية هي شركة بين اثنين اختارا أن يقوما بتأسيسها، على أساس المودة والرحمة، وأن المال لا

يشتري الرجال، وأن فارس لديه الكثير الذي لا يقـدَّر بمـال وكنوز العالم ، والذي يرتضي به مهرًا لابنته، بل ولن يتنـازل عنه في أي شخص يتقدم لها"، نظر إليه فارس وهو يتسـاءل. تبسم اللواء وقال: لديك الأصل الطيب وسيرة والدك المشرفة، التي يفتخر بها كل أب يزوج ابنته لرجل من طينة هذا الرجـل القدير - رحمه الله، وهو على يقين أن هذا الزوج هـو مـن يستحقها".

واسترسل اللواء في حديثه، وقال لفارس إن سعادة ابنته مع الشخص الذي تحبه، والذي اختارته هي للارتباط بـه، هـي سعادته هو الشخصية، طالما وجد أن هذا الشخص هـو مـن يستطيع أن يحميها ويحافظ عليها، فلا المال ولا المناصب هـي التي تصنع الرجال، بل الرجال هم من يصنعون ذلك بالعمـل والكفاح وتحقيق الذات".

نظر إليه فارس في خجل وقال بعد برهة من الصمت إنـه يخشى أن يكون السبب في شقائها، وأنه لا يعلم ما تخبئـه لـه الأيام، قال له اللواء بحدة: "إذا انحدر بك الحـال ولم تـستطع زوجتك الوقوف بجانبك فهي لا تستحق أن تكون زوجةً لك؛ ولا تستحق أيضًا أن أكون والدها"، نظر فـارس إلى الرجـل بامتنان، ونظراته تنطق بالكثير والكثير، فأشفق عليـه الرجـل وقال له: "إن المشكلة الآن ليست مشكلة المال، فلديك المكان

الذي تستطيع أن تتزوج فيه، ولديك المستقبل المشرق الـذي أراه في حرصك الدائم على تفوقك، المشكلة هنـا الآن هـي نفسك"، قال له فارس إنه لا يفهم ماذا يعني، فقال لـه والـد سماح إنه يقصد بكلامه رغبته في الصراع مع عمه لإعادة حقه المسلوب، وأنه من أكبر الخطأ أن يكون ذلك، هـو هدفـه في الحياة، وإذا كان ذلك فلا تستحق أن تكون ابن الدكتور ماجد البحيري، فقد بدأ والدك حياته بالإيمان والعزيمة والاسـتمرار لتحقيق هدفه، ويمكنك البدء كما بدأ هو، وإني أرى بـدايتك أفضل من بدايته، ومع ذلك فقد حقق الكثير، الذي لن تستطيع أنت تحقيقه في ظل هذا الصراع الذي تعيشه، والـذي جعـل منك هذا الشخص المتخاذل الذي أراه الآن، و لم أجئ إليـك اليوم سوى لأنك فارس الذي رأيته أول مرة وهو نادم على أنه أوقع صديقه في ورطة لا ذنب له بها، و لم يتخل عنه، وسـعى جاهدًا لينقذه مما هو فيه".

قدم فارس الشكر لسيادة اللواء على كلامه وعلى رأيه فيه، وقال له إن سماح ستبقى العمر كله أغلى إنسانة إلى قلبه، وأنه يطلب منه الآن تحديد موعد للذهاب إليهم بالمترل لقراءة الفاتحة وتحديد موعد الخطبة، ضحك والد سماح وقال له: "سوف نقرأ الفاتحة الآن أنا وأنت، وسوف يتم الإعلان عن الخطوبة بعـد انتهاء امتحانات نهاية العام الدراسي، وإعلان النتائج الخاصـة بك أنت وسماح، لكني سأنتظرك غدًا لتتناول الغداء معي ومع من تركتها تبكي اليوم دون طعام.

انتهى العام الدراسي وظهرت النتائج، وكما هو معتاد دائمًا فارس أول دفعته، وتم إعلان الخطبة بحضور كل مـــن أقـــارب سماح وأصدقائها هي وفارس، وأخويه وخاله "العمدة"، وبعـــد أن تبادل العروسان خواتم الخطوبة، قام طارق وأجرى اتـــصالًا بأحد أساتذته في الكلية، فأخبره بأنه نجح وأنه أول الدفعة أيضًا مثل كل عام، وعندما سمع والد سماح ذلك سأل طارق عـــن الكلية التي يدرس بها، فأخبره بأنها كليـــة الاقتـــصاد والعلـــوم السياسية، فتبسم الرجل وقال إن الذي أنجب لم يمت، وقال إن الدكتور ماجد البحيري قبل وفاته وزع ألقابه وأدواره في حياته على أبنائه الثلاثة بالتساوي، فأعطى أحمد مهمـــة التجـــارة، وأعطى فارس مهنة الطب فقد كان يخفف آلام فقراء دائرته من مشاكلهم مثل الأطباء كما أعطى طارق مهنـــة الـــسياسة، ثم أخبرهم سيادة اللواء بأن سفير مـــصر في الولايـــات المتحـــدة صديقه، وأنه يمكنه باتصالاته أن يتوسط لطارق حتى يتم تعيينه في سفارة مصر هناك، عندما ينتهي من دراسته العـــام القـــادم ويحقق نفس تفوقه المتميز، ويمكنه استكمال دراســـاته العليـــا هناك، فتمنى طارق وإخوته أن يحدث ذلك. ثم اندرج الحديث عن الدكتور ماجد ومواقفه السياسية، وعن خطـــاب الـــسيد رئيس مجلس الشعب الذي رثى فيه الدكتور ماجد الـــبحيري،

وكان لا بد له أن يذكر أخاه محمود البحيري، ووعد فارسًا أن يقف بجواره ضد ظلم عمه.

مر عام دراسي آخر وشهد أيضًا تفوق طـــارق في الـــسنة النهائية، ونفذ والد سماح ما وعد به طارق، وتم تعيينـــه بعـــد عدة اختبارات وسافر بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكيـــة؛ ليكون ضمن الفريق المعاون لسيادة السفير هناك، ويـــستكمل دراسته في أكبر جامعات العالم.

مرت الأيام، وجاء موعد الترشيحات للـدورة الانتخابية التاليه، وتزامن هذا مع وجود فارس في مترل خاله العمدة، فوجد هناك مجموعة من الأهالي يعقدون ما يسمى "بالجلسات العرفية"، ووجد حسن ابن خاله هو الذي يدير هذه الندوة، فجلس ليستمع إلى حسن الذي كان ينصت له الجميع، فهو الذي يشير لمن يتحدث ويوزع الأدوار بين العائلتين بالتساوي، ويعلق هو بالحديث على كل من يتحدث منهم، بالرغم من تواجد والده العمدة ضمن الحاضرين، ثم أعلن حسن من المخطئ وأصدر حكمه بتغريمه عشرة آلاف جنيه للعائلة الثانية، وامتثل الجميع لحكمه، وقام أفراد العائلتين المتخاصمتين، واحتضن بعضهم بعضًا، وحُلت المشكلة هذا الحكم.

وأثناء مشاهدة فارس لهذه الأحداث تعجب أنه لم يرَ من قبل قوة شخصية حسن ابن خاله ولباقته في الحديث، وحُب الجميع واحترامهم له، فرأى أنه أصلح شخص لخوض الانتخابات أمام عمه، فهو يتمتع بشعبية كبيرة في بلدته والبلاد المجاورة لها، وهو ابن العمدة المشهود له بالطيبة والمشورة الصائبة، كما أنه عضو مجلس محلي بالمحافظة.

أقنع فارس حسن بتقيد نفسه ضمن المرشحين لانتخابـات مجلس الشعب عن دائرته، وذهب معه في اليوم التالي لتقييد اسمه كعضو مستقل عن الدائرة.

بدأ حسن بمعاونة فارس حملته الانتخابية بعمـل الدعايـة المناسبة لها، وتنظيم بعض المؤتمرات في معظم قـرى الـدائرة، وفارس يرافقه دائمًا في كل قرية يذهب إليها، ويقـوم بإلقـاء خطبة عن المرشح الجديد الذي تحمس له الجميع، وباقي الخطبة عن العضو القديم محمود البحيري، ويقوم بسرد ما حـدث في قضية عمه بالتفصيل بدايةً من هذه الفتاة التي عاشت معـه في شقه في القاهرة بدون زواج، حتى تزوير عقد الـزواج الـذي ساعده في نيل البراءة من هذه التهمة، وأخذ يحث الجميع بـأن يختاروا من يكون فخرًا لهم مثلما كان الدكتور ماجد البحيري، وقال لهم فارس: "إن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيـف يـستطيع العضو القديم أن يعدل وهو ظالم لأبناء أخيه وسالب حقهـم، وكيف يدافع عن أعراضكم، وهو رجل لا يعرف إلا النـساء والزنا والعياذ بالله"، ووجه فارس خطابًا شديد اللهجة يقـول فيه إنه لو لا قدر الله نجح عمه بالزور ثانيةً لوقـف فـارس في وجهه لآخر قطرة من دمه؛ لأنه لا يرضى لنفسه ولا لهـم أن يحل محل الدكتور ماجد البحيري رجلٌ ظالم، وقال إنه لو نجح حسن ابن خاله ولم يكمل ما بدأه الدكتور ماجد ومضى على دربه. فإنه يعد الجميع أن يكون أول من يقف في وجهه.

كان هذا الخطاب قبل بدء الانتخابات بيوم واحد في أكبر قرى الدائرة، والذي تحدث فيه فارس كما يقولون "على المكشوف"، و لم يخشَ غضب عمه، وبعد هذا الحديث تحمس الجميع للمرشح الجديد، وأخذوا يهتفون باسم حسن الحديني.

علم محمود البحيري بما حدث، وبما وجهه ابن أخيه من اتهامات، وأخذ يتلفّظ بعبارات كثيرة، وهو يتوعد لفارس بالوعيد إذا تم نجاح حسن في الانتخابات، وكان لا بد لمشحوت أن يأتيه كالمعتاد بحل لهذه المشكلة، فوعده مشحوت أن يريحه من فارس مدى الحياة.

رفض البحيري ذلك في بداية الأمر؛ خوفًا من اكتشافه ووضعه في موضع أسوأ مما هو فيه الآن، فقال له مشحوت: "دع الأمر لي وضع أنت اهتمامك بالدعاية الانتخابية للدورة الجديدة، وأنه سوف يكون متواجدًا يوم تنفيذ خطته بعيدًا تمامًا عن الأحداث.

جاء يوم التصويت، وبدت جميع المؤشرات تؤكد تفوق حسن على البحيري، فقد بايعه معظم القرى التي زارها.

كل تلك الشواهد التي تؤكد تفوق حسن كان يزداد معها قلق وخوف البحيري من ضياع كرسي البرلمان؛ ما جعله يسارع في اللجوء إلى سيادة مأمور المركز الذي يعاونه في مثل

هذه الحالة، وقال له إنه على استعداد لدفع أي مبلغ مقابل الفوز، وأنه يعتبر خصمه في هذه المعركة هو فارس ابن أخيه، وقام سيادة المأمور بتهدئته، وقال له إن كرسي البرلمان دائم للبحيرى طوال حياته، وأنه يضمن له ذلك، ثم طلب منه مبلغ مليون ونصف مقابل ذلك، وافق البحيري وحرر له شيكًا بمقدمة المبلغ بنصف مليون جنيه "إلى حامله" مثلما أمره المأمور.

مرت ساعات هذا اليوم الطويل كسنوات على البحيري؛ كما مرت على فارس أيضًا، وهو يدعو الجميع في معظم اللجان للتصويت لحسن الحديني، وبعد انتهاء موعد التصويت حملت جميع الصناديق إلى مركز الشرطة استعدادًا للفرز، وأثناء دخول الصناديق قام شخصٌ ما بقطع التيار الكهربي عن المدينة بأكملها، أما فارس فأثناء توجهه إلى مركز الشرطه في وقت تزامن انقطاع الكهرباء، قام شخصٌ ما بضربه بالرصاص؛ فأصيب كتفه الأيسر ونقل في الحال إلى المستشفى، وقبل أن يذهب فارس في الإغماء، أخذ يرجو حسن أن يتركه ويذهب إلى المركز ليحضر عملية فرز الأصوات، ولكنه رفض ذلك وأصر على البقاء معه.

في خلال تلك البلبة التي حدثت بتزامن انقطاع التيار الكهربائي وإطلاق الرصاص على فارس، قام أعوان المأمور والبحيري بتبديل صناديق التصويت بأخرى مليئة بأصوات

لصالح محمود البحيري، وانتهت عملية الفرز قرب أذان الفجر، والنتيجة هي فوز محمود البحيري.

بعد أذان الظهر كان فارس قد أفاق من مخدر العملية التي أجريت له، ووجد أمامه شقيقه الأكبر فسأله عن نتيجة الانتخابات، فأخبره، وأخذ يحثه ليترك موضوع الانتخابات جانبًا، ويهتم بجرحه الآن ويحمد الله على نجاته، فأطلق فارس صرخه تحمل آلامه وهو يقول: "يا ليتني مت قبل سماع هذا، ليت الرصاصة أصابت قلبي".. وأخذ يبكي بانفعال.

لم يستطع أحمد أن يهدئ فارس، وأخذ ينادي على الطبيب بأعلى صوته. جاء الطبيب مسرعًا ومعه ممرضتان، وأمر إحداهن بإحضار أنبول مخدر وأمر الأخرى بإمساك فارس، وفي خلال دقائق كان فارس قد عاد إلى النوم ثانيةً.

ظل أحمد مستيقظًا طوال الليل بجانب فارس، ورفض أن يمكث حسن معه وطالبه أن يذهب إلى المترل ليأخذ قسطًا من الراحة بعد هذا اليوم الشاق، وفي اليوم التالي حضر حسن مبكرًا إلى المستشفى، وعندما رآه فارس أخذ يبكي ويردد أنه لن يترك عمه يهنأ بهذا الكرسي الذي اغتصبه بالتزوير والرشاوى.

جاء رجال المباحث لأخذ أقوال فارس في قضية الشروع في قتله، وبعد أن حمد الجميع الله على سلامة فارس، أمر رئيس

المباحث معاونيه بفتح محضر التحقيق، وبعد أن أملى الرجـــل بيانات فارس سأله: "من تتهم بالشروع في قتلك؟" أجابه فارس دون تردد أنه لا أحد يستطيع فعلها إلا عمه محمود الـــبحيري، فأصابت الدهشة الضابط من هذا الاتهام؛ لأنه يعلم أن عمـــه أثناء الحادث كان في مكتب السيد المأمور، ابتـــسم الـــضابط لفارس وقال: "لماذا تدعوه بعمك ما دمت تتهمه بالقتل؟"

فقال فارس: "إذا كان عمي فهذا هو قدري، أما اتهامي لـــه لأنه هو الوحيد الذي يريد قتلي بعد ما قمت بإظهار حقيقتـــه أمام جميع أهالي الدائرة، لرفضه كعضو مجلس الشعب عن هذه الدائرة التي كان يمثلها أعظم رجل في تاريخها".

توالت الأسئلة عن الحادث، وإن كان فارس قد رأى الجاني أم لا، ثم أخبره الضابط أن الجاني قد مات بطلق ناري، بعـــد إطلاق النار عليه بدقائق، بعد محاولته الهرب بعد تنفيذ جريمته، حيث لقي مصرعه في الحال، إثر تلقيه رصاصه من الخلـــف في رأسه مباشرة، ويبدو أن الذي أصابه محترف. قال فـــارس إن الذي قتله هو من كلفه بقتله، فقد أراد إخفاء جريمته، فتبـــسم الضابط وقال له إنك لا بد أن تكون ضابط مباحـــث ولـــيس طبيبًا، وكان الضابط يريد من هذه الجملة أن يخرج فارس مـــن حالة الانفعال التي انتابته أثناء التحقيق.

جاءت نجلاء لتطمئن على فارس، وأخبرته أنها علمت بالأمر حينما تم استدعاء والدها للتحقيق معه في اتهام فارس له، وأخذت تبكي وتقول له: "إذا كان والدي هو من قام بذلك فأنا لا ذنب لي". ربت فارس على يديها وهو ينظر إلى أحمد الذي كان صامتًا منذ أن حضرت نجلاء، فقال أحمد لنجلاء إن ما فعله والدها لن يقلل أبدًا من شأنها لديهم، فلا ذنب لها، وأنها ستبقى دومًا "أختًا" لهم. صمتت نجلاء بعد كلام أحمد، وأصابتها الصدمة بحقيقة أن أحمد أصبح أخاها مثل باقي أشقائه بعدما رفض والدها زواجها منه، وأيقنت أنها النهاية.

ذهب محمود البحيري ومعه محاميه الخاص إلى مركز الشرطة بناءً على استدعاء السيد رئيس المباحث، الذي اتصل به هاتفيًا، وأخبره باتهام فارس له، وقد نفى محمود البحيري هذا الاتهام عن نفسه، لأنه لا علاقة له به، وهو يتعجب من اتهام فارس له حيال ذلك، وهو ابن اخيه الذي يعتبره في منزلة ابنه!! وقال للضابط إنه يعلم ما فعله فارس وما أشاعه عنه أثناء فترة الانتخابات، ولكنه تجاهل هذا، واعتبر ما يقوم به فارس "لعب عيال"، فجميع أهل الدائرة يعرفون من يكون محمود البحيري، ويلمسون خدماته بأنفسهم، وقال المحامي إن البحيرى رغم تمتعه بالحصانه إلا أنه أصر على اكتمال التحقيقات، وقال المحامى أيضًا إن فارس ليس خصمه في الانتخابات حتى يكون قتله من مصلحة البحيري، وإنه أثناء وقوع الحادثة كان

البحيري في ضيافة سيادة المأمور، واستشهد بسيادته، وبالسيد رئيس مجلس المدينة الذي كان هو الآخر في ضيافة السيد مأمور المركز، وبناءً على ذلك تم الإفراج عن البحيري. وأخذ البحيري يعلن أمام الأهالي في كل مكان أن الحادث المؤسف الذي تعرض له فارس أثناء عملية الفرز قد أضاع فرحته بالفوز، وإنه لا يريد أي احتفال بفوزه حتى يطمئن على سلامة ابن أخيه رغم اتهامه له، وإنه لن يستريح حتى يتم القبض على الجاني، وظهور الحقيقة وتبرئة ساحته.

بعد خروج فارس من المستشفى سأل حسن ابن خاله إن كان قد قدم بلاغًا للطعن في نتيجة الانتخابات؛ فأخبره بأنه فعل ذلك بعد ظهور النتيجة مباشرة، وبالفعل قامت لجنة مكلفة من اللجنة العليا للانتخابات بإعادة فرز الأصوات، التي أكدت النتيجة المعلنة.

وفي نفس اليوم الذي خرج فيه فارس من المستشفى، احتفل الأهالي بمحمود البحيري، وتعالت الأصوات والهتافات باسمه، وأخذوا يجوبون شوارع القرية بأكملها، ووقفوا أمام منزل ماجد البحيري عندما علموا أن حسن الحدّيني هناك، وكأنهم يريدون أن يُسمِعوا أصواتهم لمن تجرأ ووقف أمام محمود البحيري، وعندما سمع فارس هذا أراد الخروج إليهم فمنعه شقيقه أحمد وحسن ابن خاله من ذلك، ولم يكن أمامه إلا أن خرج من شرفة غرفته في الطابق الثاني وأخرج مسدسه وأخذ يطلق النار في الهواء، فتفرق جميع الناس من أمام المنزل.

بعد تفرق الأهالي من أمام مترل ماجـــد الـــبحيري جـــاء مغاوري للاطمئنان على فارس، وعندما رآه فـــارس احتـــضنه وأخذ يبكي، وهو يقول له: "ما زال عمي مصرًّا على ســـلب كل شيء". أخذ مغاوري يربت عل كتف فارس وهو يقول له إن الله – تعالي – قال: "فأما الزبدُ فيذهبُ جفاءً وأما ما ينفـــعُ الناس فيمكثُ في الأرض" صدق الله العظيم.

ثم قال له: "إن كل ما يجمعه عمك لن ينفعه؛ لأنه جمعه من الاستيلاء على أموال الناس بالباطل، لكن أباك له الكثير مـــن الصدقات الجارية والسيرة الحسنة التي ما زال يذكرها النـــاس بكل خير، وإن من أهم هذه الصدقات أنت وأشقاؤك.. "وولدٌ صالح يدعو له".. فلن ينقطع عمله إلى يوم الدين". فهدأ فارس بعد كلام مغاوري، ثم جلسوا جميعًا لتناول الشاي.

- ١٩ -

أخذت نجلاء ترفض كل من يتقدم إلى والدها طالبًا الزواج منها بعد أن رفض زواجها من أحمد.

إلى أن ذهب إلى والدها أحد كبار تجار المواشي بالبلدة، وكان لهذا الرجل ابن وحيد قد تخرج من كلية الحقوق ولديه مكتب محاماة، وأعرب عن إعجابه بجمال نجلاء واحترامها وأنه يتمنى لها أن تكون زوجة لابنه أسامة، وأن أسامة من الممكن أن يحصل على وظيفة وكيل للنيابة، عندما يزكيه عضو مجلس الشعب محمود البحيري لشغل هذا المنصب.

رحب محمود بفكرة زواج نجلاء من أسامة، وكان يعلم أن أسامة هو صديق أحمد المقرب، وأن موافقته عليه سوف تكون الضربة التي يوجهها إليه هو وفارس، بعد أن قام فارس باتهامه بالقتل. وقد كان يأمل دائمًا في زواجها من ابن وزير أو أحد رجال المال المعروفين، بعد أن أصبح هو أيضًا لديه المال والمكانه السياسية، إلا أنه رأى أن أسامة سوف يصبح كذلك عندما يرشحه ويتوسط إلى معارفه لتعيينه في النيابة ليصبح مؤهلًا للزواج من ابنته، ويليق بنسب محمود البحيري.

ذهب الرجل إلى ابنه يزف له خبر إمكانية دخوله النيابة العامة، ولكن بشرط أن يتزوج من جميلة جميلات المركز ذات

الحسب والنسب، التي سوف ترث أموالًا لا حصر لها فهي ابنة أغنى أغنياء المحافظة، وعندما سمع أسامة هذا الخبر من والده رفض ذلك بشدة، وقال له إنها خطيبة صديقه وحبيبته منذ أن كانا طفلين، ثم سأل أباه: "أليس أحمد هذا الذي كنت تفخر بأنني صديقه؟!"

فقال له: "إن ذلك عندما كان أبوه على قيد الحياة، أما الآن فقد انتهى عصره. فقال أسامة: "إن أحمد لم يكن صديقي لأنه ابن ماجد البحيري، ولكن لأنه شخصية تستحق الاحترام لذاتها، ولن أخونه وأسبب له الألم حتى لو تنازل لي محمود البحيري عن كل ما يملك".

فقال له أبوه إن ذلك ليس خيانة، فقد انفصلا منذ فترة، وإذا لم يتزوجها هو فسوف يتزوجها غيره ويفوز بكل هذه الأموال.

فقال أسامة حتى لو حدث ذلك، فلن أكون السكين التي يُذبح بها صديقي. فقال له أبوه: "إنك بهذا التصرف تشتري مشاعر صديقك بعصياني"، وأقسم له أنه لو أصر على رأيه لتبرأ منه إلى يوم القيامة، وأخذ أسامة يقنع والده بأنهم في غنى عن كل هذه الأموال فلديهم المال الكثير، لكن أباه أصر على رأيه وطلب منه أن يختار بينه وبين صديقه.

مضى على هذا الحديث قرابة الشهر كان أسامة فيه في حيرة من أمره، وحيرة من المأزق الذي وضعه أمامه والده، فهـو لا يستطيع أن يخسر صديقه بقية عمره ويشتري عداوته عنـدما يعلم بخطبته لنجلاء وهو أعلم الناس بحب أحمد لها، وهو أيضًا لا يستطيع أن يغضب والده ويضع نفسه في موقـف الابـن العاق، فهو يعلم جيدًا جحود والده ومدى قدرته على تنفيذ ما توعَّد به؛ فهو رجل كل الأمور بالنسبة له تقاس وتقـدر مـن حيث المكسب والخسارة ولا مكان في قلبه للعواطف.

تردد أسامة أكثر من مرة في أن يذهب إلى أحمد ويخبره بما طلبه أبوه منه، لكنه خاف من تأثير ذلك على الصداقة بينهما، وخاف أيضًا من أن يصبح عاقًّا لوالده، فقرر ألا يفقد والـده وصديقه!! وذهب إلى والده وأبلغه أنه موافق على الزواج مـن نجلاء، على أن يتم ذلك بعد عودته من الأراضي المقدسه لأداء العمرة.

ذهب أسامة إلى الأراضي المقدسة لأداء العمرة، وأخذ يدعو الله أن يوفقه فيما هو مقدم عليه، وبعد أن عاد ذهب والده إلى محمود البحيري، وأخبره أنه يطلب منه زواج ابنته لابنه الوحيد أسامة، فرحب البحيري بذلك، وطلب من الرجل مهرًا خياليًّا، وأن يبني لابنته فيلا تليق بها، ثار الرجل وقال له إنه لا يملـك أموالًا حتى ينفذ ما يطلبه البحيري، وأن ابنه لديه مسكن يليـق

بها، وأنه ليس لديه أي استعداد في أن يدفع أكثر من مائة ألف جنيه في تكاليف الزفاف.

عاد الرجل إلى أسامة وأخبره بما طلب محمود البحيري، ففرح أسامة بذلك كثيرًا، واعتقد أن دعوته في الكعبة قد استجيبت، وأخذ يشكر الله على ذلك، وتأكد أسامة أن الخطبة لن تتم؛ لأن والده لن يتنازل ولن يدفع أكثر مما أبلغ به محمود البحيري.

أخذ البحيري يفكر فيما قاله الرجل، وخاف من فقد أسامة، وهو بالنسبة له الضربه القاضية لأحمد وإخوته، فقرر أن يبني هو الفيلا من ماله الخاص.

وفي الحال قام البحيري بالاتصال بالرجل وأبلغه بأنه على استعداد أن يبني الفيلا من ماله الخاص كهدية للعروسين، وحدد له موعدًا في اليوم التالي لإتمام الاتفاق على أن يحضر ابنه أسامة معه.

وبعدما أنهى البحيري مكالمته ذهب إلى نجلاء، وأخبرها بالاتفاق الذي أبرمه مع والد أسامة، وبأنه وافق عليه، ولن يقبل رفضها له مثلما فعلت سابقًا.

أخذت نجلاء تبكي من ظلم والدها لها، كما ظلم من قبل والدتها وأخيه وأبناءه، كما ظلم نفسه أيضًا عندما جعل من

نفسه لصًّا ومحتالًا، وهو ليس كذلك، لكن تفكيره الخاطئ وضميره المريض وشيطانه الملازم له دائمًا "مشحوت الخفير" هو ما يدفعه لفعل كل ذلك.

في اليوم التالي جاء أسامة ومعه والده، وتم الاتفاق على إتمام الزواج بأسرع وقت، وتمت قراءة الفاتحة على ذلك، بعدها طلب أسامة من أبيه أن يتركه لبعض الوقت مع محمود البحيري ليتحدثا في بعض الأمور.

وبعد ذهاب والده قال أسامة لمحمود البحيري إن الفيلا دينٌ عليه سوف يسدده على دفعات، وأنه سوف يقوم بالتوقيع الآن على إيصالات بالمبالغ المحددة، وأنه لا يستطيع أن يبدأ حياته في منزل لا يملكه، وطلب منه ألا يخبر أباه بهذا الأمر. قبل محمود البحيري على الفور اقتراح أسامة، وأخرج أسامة من جيبه بالفعل مجموعة من إيصالات الأمانة وقام بالتوقيع عليها أمام البحيري وأعطاها له، وعندها قام البحيري وأحضر نجلاء لترحب بأسامة.

أقبلت نجلاء لترحب بأسامة، وبقايا آثار دموع بادية على وجنتيها، وجلست في صمت، احترم أسامة صمتها، ورأى في عينيها صديق عمره أحمد، مما اضطره لأن يستأذن في الانصراف، وأخذ محمود البحيري يطلب منه أن يجلس مع

العروس، وأنه سوف يتركهما لبعض الوقت، فقال له أسامة إن لديه موعد الآن، وإن الأيام القادمة كثيرة، وسوف يجلس معها فيما بعد.

خرج أسامة من فيلا محمود البحيري، وهو يحبس دموعه، وظل يجول بسيارته لا يلوي على شيء، إلى أن وصل لأرض خالية بالقرب من الأرضي الزراعية. أوقف سيارته وأخذ يبكي وهو يدعو الله أن يساعده في تدبير الأمر الذي انتواه، وإذ به يرى رجلًا يأتي من بعيد ويقترب منه كأنه يقصده.

أخذ أسامة يجفف دموعه وهو يهم بترك المكان قبل أن يصل إليه الرجل، فإذا به يطرق شباك السيارة فالتفت له أسامة فوجده مغاوري الصياد، فترل من سيارته ورحب به، وسأله مغاوري عن سبب احمرار عينيه، فقال له إنه كان يفتح شباك السيارة، فدخلت حشرة في عينه مما اضطره لإيقاف السيارة ليخرجها من عينه، وترك سيارته ونزل ليجلس مع مغاوري.

في اليوم التالي ذهب أسامة إلى خاله، وطلب منه ميراثه الذي سبق وأن رفض إعطاءه لوالده، وكان ينتظر اليوم الذي يحتاج إليه أسامة ليعطيه له بعيدًا عن استغلال والده، وسأل أسامة عن سبب احتياجه لهذا المال في هذا الوقت، فأخبره بأنه قد خطب ابنة محمود البحيري، ففرح الرجل كثيرًا لأن ابن أخته سوف يصاهر عضو مجلس الشعب.

مرت عدة أشهر انتهى فيها بناء الفيلا وتـــشييدها لتـــصبح جاهزة لزواج أسامة ونجلاء، وأسامة يقوم بدفع المبالغ المستحقة عليه لمحمود البحيري على دفعات كما سبق واتفق معه، واسترد جميع الإيصالات التي سبق وأن أعطاها للبحيري. ثم تم تحديـــد موعد الزفاف.

وعندما علمت نجلاء أن الوقت قـــد حـــان، وأن والـــدها وأسامة قاما بالاتفاق على كل شيء، قامت بالاتصال بأحمـــد الذي لم يحادثها و لم تره منذ حادثة فارس.

أخبرته بأنها سوف تقدم على الانتحار، فهي لا تستطيع أن ترى نفسها زوجة لأحد غيره، أشفق عليها أحمد وقال لهـــا إن هذه هي إرادة الله وعلينا الإيمان، وأنها لو فعلت ذلك فـــسوف تخسر دنياها وآخرتها، ولن ينفعهـــا أحمـــد ولا والـــدها، وإن أقدمت بالفعل على ذلك فهو بريء من ذنبها إلى يوم القيامة، وأنه يوم وفاتها سوف يتزوج غيرها؛ لأنه لـــن يقـــضي بـــاقي عمره، يبكي على امرأة أغضبت ربها.

وقعت تلك الكلمات على نجلاء كالصاعقة، فهي لا تعلـــم عن أحمد كل تلك القسوة، ولكنها عَزَت ذلك إلى خوفه عليها من تنفيذ ما قالته، وقررت أن ترضى بالأمر الواقع، وتعيش مع

شخص آخر بجسدها وتكمل بقية عمرها مع حبيبها بروحها، وقالت لأحمد: "لا تطلب مني أن أنساك، فلن أستطيع، فأنـــت حياتي وذكرياتي وحب طفولتي وشبابي". فقال لها: "وهل تنسى الأخت أخاها الكبير؟!" وعندها بكت نجلاء بكـــاء شـــديدًا، وهي تقول له بحدة: "أنا لست أختك؟!"

فقال لها أحمد: "أنت أختي وتوأمي وحبيبتي وابنتي وفـــرحتي ومأساتي"، فقالت له: "هل تستطيع الزواج من غيري؟" فصمت أحمد قليلًا، وخرجت الكلمات منه دون أن يشعر: "لن أستطع طوال عمري الزواج من أحد غيرك". وبكت وهي تقول: "لماذا تختار لنفسك أن تكون شخصًا مثاليًّـــا وتختـــار لي أن أكـــون خائنة؟" قاطعها أحمد بشدة وهو يقول لها: "أنت لست خائنة، بل مغلوبةً على أمرها، فأنتِ لا تستطيعين الاختيار، أمـــا أنـــا فبيدي الاختيار". ثم أخذ أحمد يعدد لها مزايا أسامة، فقالت له: "إن كان أسامة كما تقول فلماذا وافـــق أن يتـــزوج حبيبـــة صديقه؟" فقال لها إنه لو لم يفعل ذلك لفعلها غيره، وإنـــه في شدة السعادة لأن أسامة هو الذي سيتزوجها، وإنـــه منـــذ أن عرف أن نجلاء ليست من نصيبه أخذ يـــدعو الله أن يرزقهـــا بشخص يحترمها ويقدرها ويحقق لها كل ما كان ينوي أن يفعله لها، وقال لها إن الله استجاب دعوته ورزقها بأســـامة صـــديقه وهو يعلم أنه سوف يحافظ عليها.

أقيم حفل الزفاف في أحد الفنادق الكبرى بالقاهرة حتى يكون قريبًا من تواجد المدعوين من أعضاء مجلس الشعب والإعلاميين الذين قام بدعوتهم لتغطية الحفل الأسطوري، كما دعا إليه أيضًا عددًا من الوزراء والفنانين، وكأنها رسالة للجميع عن مدى ثرائه ولكي لا يترامى الشك إلى أحد في تصديق إشاعة أنه استولى على أموال أخيه، وقام أمام المدعون بإظهار حزنه لعدم حضور أبناء شقيقه الحفل متعللًا بسفرهم خارج البلاد!! بعد انتهاء الحفل كان البحيري قد حجز للعروسين جناحًا خاصًا في الفندق، لكن أسامة أصر على العودة إلى البلدة بعد انتهاء الحفل مباشرةً.

عاد العروسان إلى البلدة، ودخلت نجلاء غرفتها مباشرة وهي تبكي، ولم يسألها أسامة عن سبب بكائها وتوجه إلى حديقة المترل، وهو يفكر فيما سوف يخبرها به.

ظل ذلك الوضع قرابة الساعة، قام بعدها أسامة وذهب إلى حجرة نجلاء واستأذنها في الدخول، نظرت نجلاء إليه والدموع تغرق وجهها، فقال لها: "أنا أعرف سبب بكائك". صمتت نجلاء ،فعاود حديثه، قائلًا: "أنتِ تبكين من أجل أحمد".

حدقت فيه من المفاجأة، فقال لها إنه يحب أحمد أكثر منها، فهو صديق عمره، وأخذ يقص لها قصته مع أحمد منذ أن كانا طفلين فى المرحلة الابتدائية، وقال لها إنه أخذ عهدًا على نفسه،

وأقسم على هذا العهد في "الكعبة الشريفة" أن تصبح نجلاء أختًا له، يرعاها إلى أن يسلمها بيده إلى عريسها وحبيب عمرها؛ لأنه خاف أن تتزوج غيره، ويكون الأمل قد انتهى بينها وبين أحمد، وقال لها أيضًا إن الله استجاب لدعوته فهو منذ أن رآها لم يرها مثل بقية النساء بل رآها شقيقه له .

لم تصدق نجلاء ما يحدث لها، فها هو أسامة يعيد لها الأمل في الحياة من جديد، فأخذت تبكي وهي تقول له إنها لا تجد من الكلمات ما تقدمه شكرًا له لموقفه هذا، فلا يوجد كلمة شكر تستطيع أن توفيه حقه، ونزلت إلى قدميه لتقبلها، ابتسم أسامة وهو يجذبها لأعلى، وقال لها: "وهل تقدم الأخت لأخيها الشكر على وقوفه بجوارها لتحقيق حلمها؟" ثم قال لها إنه وحيد ليس له أشقاء، وأنه يعتبر أحمد هو شقيقه الوحيد، أما الآن فقد أصبحت له أخت أخرى هي نجلاء، ووعدها بأن يقوم بالانفصال عنها عندما تحين الظروف لتتزوج من أحمد، وقال أسامة إنه منذ طفولته كان يرى كثيرًا ظلم والده لوالدته طمعًا منه في مالها، وأنه كان دائمًا يقوم بتوجيه العبارات الجارحة لها وضربها ليجبرها على مطالبة أشقاءها بميراثها، ولكنها كانت دائمًا ترفض ذلك، إلى أن توفاها الله ليرحمها من هذه الحياة القاسية، ومنذ ذلك اليوم أخذ أسامة على نفسه عهدًا بألا يظلم أي امرأة.

ترك أسامة نجلاء بغرفتها، وذهب إلى غرفة أخرى ليستقر بها، وجلست طوال الليل تفكر في هذه الليلة وفي هذا الحوار، وكأنها في حلم وتسأل نفسها مئات الأسئلة، هل ما زال في الدنيا أشخاص مثل هذا الرجل؟ هل كان يتحدثُ صدقًا؟ هل سيطلقني بالفعل وأعود لأحمد؟ من يقبل على نفسه أن يترك زوجته لغيره مع أنه يستطيع أن يأخذ كل حقوقه منها؟

وتعود تكذب ما تقول، بل وتتوقع بين اللحظة والأخرى أن يأتيها أسامة، ويطالبها بحقوقه الشرعية، حتى لو كان ينوى طلاقها، وتسأل نفسها إذا جاءها بالفعل وطلب منها ذلك ماذا ستفعل معه؟

ظل أحمد ليلة زفاف نجلاء جالسًا على ضفة النيل في بلدهم يتذكر أيامه مع نجلاء منذ أن كانا طفلين، ويتذكر بيت الزوجية الذي كانا يخططان لبنائه في الأرض الزراعية القريبة من منزل أبيه، يتذكر من كانت تحس بآلامه وأحزانه قبل أن يبوح بها، وأيام الصبا والأحلام التي ظلت تنمو مع الأيام بينهما، حبها الذي يسري في دمه ويحيا عليه، والذي فقده الآن بعد زفافها.

وبينما هو على هذا الحال، إذا بامرأة تمشي على شاطئ النيل وتقترب منه، فوقف يصوب نظره نحوها في صمت، فإذا بها حبيبته وحبيبة عمره، فأسرع إليها يسبقه شوقه، فعلقت زراعيها بعنقه وقبلته، وارتمت تبكي في أحضانه، فاحتضنت آلامه وحزنه، وعندها انجلى الخوف عن صدره، وذهب حزنه إلى حيث لا يدري، وأقسمت بحياته وحبه أنها ما تزال تتذكر عهده، وأن حياتها معدومةٌ بعده، إن ما جاء بها إلى هنا الآن هو ما حضر من أجله. وظل هو وهي يتذكران الحب القديم ويبكيان على ما حدث لهما، إلى أن جاء وقت رحيلها فعانقته، وعلى وعدٍ باللقاء ودعته، وعاد وحيدًا إلى النيل يغني: "أحبك يا نيل مصر من كل قلبي فأنت شاهد وحيد على قصة حبي،

وعلى ضفافك انجلى الخوف عن صدري وذهب حزني إلى حيث لا أدري". عاد أحمد يفكر في قدره الذي أرسل حبيبة عمره.

استيقظ أحمد من هذا الحلم على صوت السيارات القادمة من القاهرة لتعلن زفاف حبيبته على صديقه، وتعلن بداية حياتها الجديدة مع غيره وبداية أحزانه بدونها.

ظل أحمد يمشي في البلدة لا يلوي على شيء، إلى أن قادته قدماه إلى عشه مغاوري، وعندما رآه مغاوري قادمًا قام إليه واحتضنه، وقال له إنه يعلم سبب بكائه، وهو يريد أن يعرف الآن هل سبب البكاء هو ضياع حبيبته منه وأنها باعته، أم أن خيانة صديقه هي التي تؤلمه، فقال له أحمد: "هي لم تبعني ولم تَضِع؛ لأنها تزوجت على سنة الله ورسوله، وهو لم يَخُنّي؛ لأنه عندما تزوجها لم تكن سوى ابنة عمي، وقد كتب القدر أن يتزوجها هو، وإن لم يتزوجها هو فسيتزوجها غيره، ولقضيت بقية عمري حزينًا على حياتها؛ أما بزواجها منه فأنا مطمئن عليها؛ لأنه الشخص الوحيد الذي سوف يقوم على رعايتها وحمايتها والمحافظة عليها.

تعجب مغاوري من كلام أحمد، وقال له: "قد وضعتني في حيرة من أمري، فإن كان هذا ليس السبب ولا الآخر فما هو سبب بكائك إذن؟" فقال له: "أنا أبكي على حلمي الذي بنيته كمنزل عالٍ، كلما مر يوم من عمري وضعت به حجرًا حتى

أصبحت أحجاره بعدد أيام حياتي، وانهار فجأة وانهار عمـــري معه، ولم يبقَ منه سوى بعض الأحجار التي قد تساعدني علـــى بناء منزل وحلم جديد، يحمل بعض أيام عمري الباقية.

وصور أحمد ما حدث بينه وبين نجلاء بشاب وفتاة التقيـــا على متن طائرة أثناء إحدى رحلاتها، وجلـــسا في مقعـــدين متجاورين، وحدث بينهما حوار انتهى بأن كلًا منهما كـــان يبحث عن الآخر، واتفقا معًا على الزواج، وأثناء نزول الطائرة في إحدى الدول لعمل "ترانزيت" قررا أن يظلا في هذه الدولة بضعة أيام، ومرت عليهما تلك الأيام وهما في سعادة لا مثيـــل لها.

وبعدها استقلا طائرة العودة، قاما بالاتفاق على أن يقـــدم كلٌ منهما الآخر لأهله، ويخبرهم بأنه شريك المستقبل، وعندما عادا إلى أرض الوطن عادا إلى الواقع المرسوم لهما، فهناك وجد أهله ينتظرونه، ومعهم ابنة عمه التي كان قد وعدها بـــالزواج قبل سفره، والتي جاءت لتستقبل زوج المستقبل، وتلبس فستان الزفاف على أن يذهب بها من المطار لعقد القران، وبعـــدها إلى عش الزوجية، وهي أيضًا وجدت أهلها ومعهم خطيبها الذي وافق والدها على زواجه منها وجاء ليستقبلها هو الآخـــر، ولم يكن أمامهما إلا أن أخرج كلٌ منهما شريحة هاتفـــه الخلـــوى والتي تحمل رقم الآخر ورماها على الأرض وأخذ يبكي، وجميع الحضور يعتقدون أنها دموع الفرح بالعودة، لكنها دموع الحزن

على الحلم الذي ولد فوق السحاب ووئد عندما اصطدم بأرض الواقع.

ظل مغاوري أثناء حديث أحمد صامتًا حتى يتركــه يفــرغ جميع ما بداخله من أحزان، وعندما انتهى أحمد من كلامه قال له مغاوري إن الحياة لا تقف على شخص فهذه ســنة الله في أرضه، يفرقنا القدر عمن نحب أحيانًا ويجمعنا بهم أحيانًا أخرى بعد أن نفقد الأمل في ذلك، وبعدها تنتهي حياة وتبدأ أخرى، ويبدأ معها أمل جديد يساعدنا على استكمالها، ثم قال لــه إن الله دائمًا يختار للإنسان الأفضل، وقد يكــون انفــصالكما في مصلحة كل منكما، فكان من الممكن أن تتزوجها وتنفــصلا لسبب ما، وتكون بذلك قد خسرت حبيبة وزوجة وأختًــا، ثم قال له إنه رأى أسامة ليلة الخطوبة، وهو يبكي، وإنه من المؤكد أنه حزين على فعله ذلك فلا تظلمه، فقال له أحمد إنه يعــرف إن هذه رغبة أبيه الذي لا يعرف إلا المــال.. تزامنــت آخــر كلماته مع ارتفاع صوت أذان الفجر، فطلب مغــاوري مــن أحمد أن يتوضأ ويذهب معه لأداء الصلاة، وأن يدعو الله لهــا بالتوفيق والسعادة، وأن يرزقه بزوجة صالحة تعينه على طاعــة الله، وتعينه على نسيان نجلاء.

كان الجميع يرون سعادة أسامة ونجلاء في عيونهما، وكـــان كلاهما أيضًا يشعر بالسعادة، فقد اعتبر كل منهما الآخر شقيقًا له، وعاد الأمل إلى نجلاء من جديد، حتى صدق والدها أنهـــا سعيدة بالفعل.

وأمام إلحاح نجلاء ذهب البحيري إلى أحد المستشارين مـــن أصدقائه في مجلس الشعب، وطلب منه أن يقوم بتزكية أســـامة لمنصب وكيل نيابة، ووعده الرجل بذلك، وطلب منه أن يخـــبر أسامة بتقديم أوراقه في النيابة العامة. وتم قبوله وتعيينه بمحافظة بعيدة عن محافظته، وبعد عدة شـــهور تم نقلـــه إلى القـــاهرة، واصطحب نجلاء لتعيش معه هناك.

كان أسامة ونجلاء يذهبان إلى البلدة في نهاية كل أســـبوع لقضائه مع والديهما، وفي إحدى الليالي، وبينما أسامة عائد من منزل والده إلى منزل البحيري، قام بالمرور على عشه مغاوري، فأوقف سيارته وذهب ليجلس معه. قابله مغاوري بجفاء علـــى غير المعتاد منه، وأخذ ينظر إلى سيارته الجديدة، ويقـــول لـــه: "هل السيارة الجديدة ووظيفة النيابة والعروس الجميلـــة ثمـــن خيانتك لصديقك؟ أم أن كل ذلك سببه هو ضميرك المـــريض ورغبتك في الوصول لما تريد مهما كان الثمن؟ قم واذهب إلى

مترل محمود البحيري، فإني مشفقٌ عليك من هذا المكان الذي ربما يذكرك بخيانتك لصديقك، إن كان لك ذكريات هنا معه ما زلت تذكرها".

هوت كلمات مغاوري طعنة في قلب أسامة، وصمت طويلًا بعدها، وعندما تكلم طلب من مغاوري أن يؤجل الحكم عليه بعد أن يستمع إليه، قال له مغاوري: "وإن لم أسمعك ماذا ستفعل؟ هل ستمنعني من الحديث؟ أم ستتصل بمركز الشرطة وتأمرهم أن يأخذوني إلى السجن يا سيادة وكيل النيابة؟ فأنا رجلٌ ضعيف الحال لا أملك سلطة ولا مالًا أما أنت فتملك السلطة التي يزينها المال".

قال له أسامة من بين دموعه: "أنت تعلم أنني لست ظالمًا أو جلادًا حتى أفعل ذلك، لكنك إن لم تسمعني فسوف أذهب ولن تعرف الحقيقة، ولستُ أنا ذلك الرجل الذي تدعوني به، صاحب السلطة والمال الذي يقتص من رجل ضعيف الحال كما تطلق على نفسك". صمت مغاوري وهو ينظر لأسامة بحدة، وعاود أسامة حديثه قائلًا: "إن كنت أنا – كما تدعي – صاحب السلطة والمال ووكيل النيابة، فماذا أتى بي إلى هنا؟ وما الذي يجعلني أقف أمامك موقف المتهم لأدافع عن نفسي حتى أبين لك الحقيقة؟ وماذا يفيد رأيك إن كنت رجلًا فقيرًا كما تدعي ضعيف الحال ليس له تأثير؟!"

بعد كل هذه الأسئلة الكثيرة التي وجهها أسامة لمغـاوري، والتي أفقدته القدرة على الإجابة، قال له أسامة: "أنا أريدك أن تعلم الحقيقة؛ لأنك الوحيد الذي يعلم قوة صـداقتي وحـبي لأحمد، ولأنك عودتني دائمًا أن تستمع إلي وتكون حافظ السر الذي لا يبوح به حتى ولو باح به صاحبه، وأريد أن أتحـدث إليك لأنني أريدك أن تسمعني وليس أحدًا غيرك.

احتضن مغاوري أسامة وهم بالبكاء وهو يقول لأسـامة: "أنت تعلم جيدًا ماذا تعني لي أنت وأحمد، وتعلم مقدار كـل منكما في قلبي، ولسوف أستمع إليك بعد أن نقـوم بتنـاول العشاء معًا مثل كل مرة تأتي إلى هنا، استوقفه أسامة وطلـب منه أن يستمع إليه حتى يبوح بما في صدره، رفـض مغـاوري ذلك وذهب وأحضر بعض الأسماك والأخشاب وهـو يقـول لأسامة إنه لن يستمع إليه إلا بعد العشاء، وجلس بجانبه لتناول الطعام دون أن يتحدث أحدهما إلى الآخر، وبعد تناول الشاي طلب مغاوري منه أن يقول ما لديه، فتركه أسامة وذهـب إلى سيارته وأحضر منها مصحفًا، ووقف أمام مغاوري وقال لـه سأستبدل الأدوار معك، لتكون أنت القاضي الذي يستمع إلى المتهم ليصدر حكمه، وأكون أنا المتهم، و إنه في المحكمة جرى العرف القضائي أن يقسم من يتقدم للشهاده بأن يقول الحقيقة، وأنا سأقسم أمامك على كتاب الله أنني بريء مما قلت عـني، وأن أقول لك الحقيقة التي لا تعرفها، لكنك لا بد أن تعدني قبل أن أتحدث ألا تخبر أحدًا بما سأقوله لك، خاصةً أحمد.

وبعدما وعده مغاوري بذلك أخذ أسامة يقص عليه ما حدث منذ أن أخبره والده برغبته في الزواج من نجلاء البحيري حتى هذه الليلة التي أوصل فيها نجلاء فيها إلى منزل أبيها، وبعد أن انتهى أسامة من دفاعه عن نفسه قام مغاوري من مجلسه واحتضن أسامة واعتذر له عن سابق كلامه، وأنه ما قال ذلك سوى من خوفه أن تغريه الدنيا والمال، وتفعل مثلما فعلت بأبيه ومحمود البحيري ، ويفقد قيمه نفسه في الحياه ، ويفقد معها أخلاقه ومبادئه التي رآها فيه منذ أن عرفه.

وفي نهاية الحديث بينهما قال له مغاوري إنه ما اجتمع رجلٌ وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما هذا ولم يستثنِ من الحديث المحرمات على هذا الرجل، فما بالك بزوجته على سنة الله ورسوله "ذات الجمال"، فقال له أسامة إن حبه لأحمد وقسمه على عدم خيانته في بيت الله الحرام وحب نجلاء له لا يدع مجال بينهما للشيطان، فهو يراها أخته وهي تراه أخًا لها، فقال له مغاوري: "إن الأمر قد يطول سنوات، وإنك سوف تظلم نفسك وتحرم نفسك من الإنجاب والمتعة التي أحلها الله لك، فإن كنت مصرًا على استكمال هذا الطريق فعليك الزواج من أخرى حتى لا تدع مجالًا لظلم نفسك"، فسأله أسامة: "ولماذا لم تتزوج أنت حتى الآن؟" فأجابه مغاوري: "ومن يدريك أني لست متزوجًا؟" اندهش أسامة ونظر إلى مغاوري قائلًا: "متزوج!!" رد عليه مغاوري قائلًا: "نعم.. أنا متزوج ولديّ

أبناء أذهب إليهم مرة كل شهر". فسأله أسامة: "هل تـذهب إليهم في الصعيد؟" فقال: "لا إنهم يعيشون قريبًا من هنـا".. ثم سأل أسامة: "وماذا عن صديقتك في كلية الحقوق التي كنـت تحبها واتفقت معها على الزواج؟!" أحس أسامة أن مغاوري لا يريد الكلام عن حياته وزواجه فاحترم رغبته، ورد عليه قائلًا: "إنها منذ أن علمت بخطبتي لنجلاء طلبت مني الانفـصال، ولم أرها منذ ذلك الوقت، ولم أحاول الاتصال بهـا". قـال لـه مغاوري: "ولماذا؟!" فقال: "لأنني لا أسـتطيع إخبارهـا بمـا أخبرتك به الآن.

صمت أسامة وتذكر تلك المكالمة الهاتفية بينه وبين صديقة سالي، والتي أخبرته فيها أنها قد تم خطبتها إلى أحد أقاربها، وأن الخطبة لم تستمر سوى عدة أسابيع، وأن قلـب سـالي لا زال متعلق به.

قام أسامة ليودع مغاوري ويـستعد للـذهاب إلى مـنزل البحيري، بعد تلك الليلة التي أزاح بها عن قلبه ما يحملـه مـن معاناة، وعندما كان يهم بركوب سيارته قال له مغاوري: "لا بد أن تتصل بها وتخبرها بالحقيقة، وتطلب منها الزواج، وأنـا أثق بأنها سوف تقدر موقفك مع صديقك إن كانـت تحبـك بالفعل".

مرت عدة أيام وأسامة يفكر في كلام مغاوري، الذي أعاد إليه ذكرياته مع سالي، وأخذ يفكر في كيفيه الاتـــصال هـــا، وتوضيح لها الأسباب التي جعلته يبتعد عنها.

أمسك أسامة سماعة الهاتف في غرفته بمترله، وقام بالاتصال بسالي، وعندما أجابته وسمع صوهما زادت ضربات قلبه وهـــو يقول لها بصوت لا يكاد يسمع: "كيف حالك سالي؟" صمتت سالي برهة، ثم استجمعت شجاعتها وردت عليه: "الحمد لله.. كيف حالك أنت أسامة؟" صمت أسامة أيضًا، وعنـــدما هـــم بالرد عليها فاجئته قائلة: "ماذا تريد مني يا أسامة؟ ولماذا تتصل بي الآن؟"

قال لها بعد تردد "أريد أن أخبرك بشيء". ردت عليه: "وأنا لا أريد أن أعرف شيئًا، ورجاءً لا تعـــاود الاتـــصال بي مـــرة أخرى". وقامت بإنهاء الاتصال على الفور. أخذ أسامة يصرخ: "لا بد أن تسمعيني.. لا بد أن أوضح لكِ". و لم يسمع ســـوى صدى صوته في الغرفة.

ذهبت نجلاء مسرعة إلى غرفة أسامة عندما سمعت صـــوته وهو يصرخ، ورأته في شدة الغضب، وكانت هذه هي المـــرة الأولى التي تراه فيها هكذا، فأحضرت له كوبًا مـــن عـــصير

الليمون، وجلست بالمقعد المقابل له ثم سألته: "هـل تتـذكر عندما قلت لي إنني أصبحت أختًا لك؟" فقال لها: "نعـم". فقالت: "ألا تريد أن تصارح أختك بما يغضبك إلى هذا الحد؟" فأجابها أسامة بأن الذي يغضبه هو بعـض الأمـور المتعلقـة بالعمل.

فقالت له إنها متأكدة أن الذي يغضبه ليس كذلك، وإنه إذا كان يرغب في عدم إخبارها فلن تقوم بسؤاله مرة أخرى، ولن تتطفل عليه وتقوم بمضايقته هي الأخـري، وتركتـه نجـلاء وانصرفت إلى غرفتها.

قرر أسامة أن يخبرها بحقيقة حبه الذي ضحّى به من أجلها ومن أجل صديقه أحمد، فذهب إليها وقال لها إن الذي يغضبه ويحاول أن يخفيه عنها هو قصته مع حبه الوحيد "سالي".

عندما انتهى أسامة من سرد قصة حبه، تركته نجلاء وذهبت إلى غرفتها، وأحضرت هاتفها وطلبت منه رقم تليفون "سالي"، رفض أسامة أن تقوم نجلاء بالاتصال بها في بداية الأمر، فقالت له في إصرار: "لا بد أن تتركني أرد لك معروفك معـي". و لم يملك أمام إصرارها إلا أن أعطاها رقم التليفون، وأخذت نجلاء تحاول الاتصال بها، وعندما لم تتلقَّ ردًّا منها، استأذنت أسـامة أن تذهب إليها في مكتبها غدًا.

في اليوم التالي بعد أن ذهب أسامة إلى عمله، ذهبت نجلاء إلى العنوان الذي أخذته من أسامة، وطلبت مقابلة سالي، وعندما دخلت إليها غرفتها استقبلتها سالي بترحاب، وسألتها عن القضية التي حضرت من أجلها، فقالت لها نجلاء: "إنها ليست قضية ولكنها استشارة". فقالت سالي: "تفضلي بالسؤال".. فقالت لها: "ألا تسأليني عن نوع استشارتي؟!" ابتسمت سالي وقالت لها: "إنها من المؤكد أنها استشارة قانونية، وأن اللافتة المعلقة على الباب توضح أن هذا مكتب محاماة". ضحكت نجلاء وقالت لها: "لا، إنها استشارة عاطفية"، وعلى الفور قالت لها: "أنا شقيقة أسامة داود".

انتفضت سالي وقالت في حدة: "أنا لا أحب أن أتحدث عنه، وإن كنت ترغبين في الحديث عنه فلن أسمعك". ثم صمتت سالي قليلًا ونظَرت إلى نجلاء التي لا تتحدث، وقالت لها وعلى وجهها أمارات الدهشة: "قلت إنكِ شقيقة أسامة، كيف ذلك؟ أسامة ليس له أشقاء؟" قالت لها نجلاء: "هذا ما أردت إخبارك به، فقد أصبح أسامة شقيقي منذ ليلة زفافي إليه؟"

نظرت إليها سالي وهي تشير إليها دون أن تتحدث، فقالت لها نجلاء: "نعم.. أنا زوجته وشقيقته، أنا التي تزوجها من أجل أبيه وصديقه، والتي يراها الجميع زوجته، أنا شقيقته التي لا يعرف حقيقتها إلا أنا وهو، والتي لم يقربها منذ زواجهما، واعتبرها أخته ولاء منه لصديقه، وولاء لحبيبته... أنتِ".

جلست سالي وهي تنظر إليها في حيرة، وأخذت نجلاء تقص كل ما حدث بينها وبين أسامة منذ أن صارحها يوم زفافهما بحقيقة تمسكه بالزواج منها، إلى أن رأت الدموع في عينيه لأول مرة أمس عندما حدثها هاتفيًا ورفضت الإنصات له.

عندما انتهت نجلاء من الحديث سألتها سالي: "لماذا لم يبلغني بكل هذا؟" فقالت لها نجلاء: "وهل لو أخبركِ كنتِ ستتحملين ما قام به؟" قالت: "نعم، لو كان أخبرني ربما كنت اختلفت معه في البداية، لكنني كنت حتمًا سأوافقه على ذلك؛ لأنني أعلم مقدار حبه لأحمد، وأن أحمد لو كان مكانه لفعل ذلك أيضًا دون تردد، إنه موقف فريد من نوعه، وكأنني أسمع قصة من "ألف ليلة وليلة" تحدث فقط بالخيال، لكن الواقع ينكرها بكل جوانبها، فلم يحدث من قبل أن ضحى شخص بحياته وحب عمره من أجل صديقه، لكن هذا ليس غريبًا على أخلاق أسامة".

عندما سمعت نجلاء هذا الكلام أخذت تبتسم شيئًا فشيئًا، ثم تعالت صوتها بالضحك، وكأنها لا تصدق أن سالي تحب أسامة كل هذا الحب، وبعدها قالت إنها علمت الآن أن من كان أسامة يبكي من أجلها تستحق كل تلك الدموع وكل هذا الحب.

وأخبرتها سالي إنها بعد أن علمت بزواج أسامة، لم تستطع أن ترتبط بغيره رغم تصورها أنه خان عهدها، وقالت لنفسها أنها لن ترتبط بغيره إلا بعدما تسأله لماذا فعل ذلك معي رغم كل هذا الحب، وقالت لها إنه عندما حدثها أمس وسمعت صوته الذي تشتاق إليه، كانت تريد أن تسأله هذا السؤال، لكن كبرياءها منعها من ذلك، فقد خافت أن يظهر في صوتها أنها ما زالت تحبه، كما أنها قالت لنفسها إنه قد تزوج وانتهى الأمر بينهما، فاضطرت لإنهاء المكالمة قبل أن تصاب بالانهيار وتعلن له عن استمرار حبها له.

تأكدت نجلاء الآن أن سالي قد سامحت أسامة، وقامت على الفور بالاتصال به، وأخبرته بأنها في مكتب سالي الآن، وأنها تنتظره معها، ولا بد من حضوره في الحال.

حضر أسامة إلى مكتب سالي، وجلس الثلاثة بغرفة مكتبها، وأخذ أسامة يعتذر لسالي عما سببه لها من آلام، فقالت له إنها هي التي لا بد أن تعتذر له لظنها به، وأنها سعيدة أن كل ذلك حدث حتى تعلم مقدار حبها له وكم يحبها. فقاطعتها نجلاء قائلةً إن الاعتذار واجبٌ عليها هي لأسامة ولها، لأنها السبب في كل ما حدث، وأنها لن تخرج من هنا إلا بعد أن تصلح ما أتلفته، ونظرت إلى سالي وسألتها بابتسامة مشرقة: "هل ما زال لديكِ الرغبة للزواج من أسامة؟"

تفاجأت سالي و لم تستطع الإجابة، وتفاجأ أسامة هو الآخر مما قالته نجلاء، فأعادت نجلاء السؤال مرة أخرى فأجابتها سالي بحياء: "نعم لدي الاستعداد ولكن ماذا عنكِ؟"

قالت نجلاء وهي تفتعل الغضب: "قلت لكِ وسأقول ثانيةً.. أنا شقيقة أسامة، وسأظل كذلك، وأسألك الآن هل توافقين على الزواج من أخي أم لا؟"

قالت سالي في تردد: "أنا أقصد كيف أتزوجه وأنت ما تزالين زوجته، و لم تنتهِ مشكلتك حتى الآن؟!" فقال أسامة: "إن المشكلة ليست في وجود نجلاء، فهي كما قالت أختي، لكن المشكلة هي أنني لن أستطيع إقناع والدي ولا والد نجلاء بأنني سوف أتزوج غيرها في الوقت الحالي بدون إبداء الأسباب".

فقالت سالي إنهما يمكنهما إتمام الزواج دون علم والده، وعندما تنتهي مشكلة نجلاء، ويتم الطلاق يمكنهما إعلان الزواج.

صمتت سالي بعد أن قالت ذلك، واكتشفت أنها وافقت على الزواج دون أن يسألها أحد، وكأنها كانت تنتظر هذا اليوم منذ فترة، فتبسم أسامة وقال إنه لا يرضى لها الزواج بهذه الطريقة، فهي فتاة تريد أن تفرح وتتفاخر بمن تتزوج أمام الجميع، فقالت سالي وهي تبتسم: "أنا لست أقل منك تضحية،

أما بالنسبة للفرح فسوف يعلم جميع أهلي وجيراني دون علـــم أهل أحمد ونجلاء". اتفق الثلاثة على أن يتم الإســـراع بكـــل ذلك، وأن يتم الزفاف بعد شهر، عندما يقوم أسامة بتجهيـــز شقة خاصة بهما، وخلال هذا الشهر كان أسامة قد اســـتأجر شقة جديدة في الطابق الثاني من نفس المبنى الذي يسكن فيه مع نجلاء.

-٢٤-

جاء يوم الزفاف، وذهب أسامة إلى الحفل هـو ونجـلاء، وهناك التقى بأسرة سالي الذين كانوا في أشد الحيرة من قـرار ابنتهم التي أصرت على الزواج من هذا الشاب الذي سبق لـه الزواج، والذي لم يحضر أحد من أسرته سـوى شـقيقته، و لم يكن أمامهم إلا الانصياع لرغبة ابنتهم عنـدما وجـدوا أنهـا سعيدة بذلك، بعكس ما كانت عليه أثناء خطبتها السابقة، أقيم حفل الزفاف في أحد النوادي، وكان العروسان في شدة الفرح، كما كانت نجلاء هي الأخرى كذلك، عندما رقـصت مـع أسامة بدلًا من سالي.

بعد انتهاء الحفل ذهب أسامة وسالي إلى الإسكندرية لقضاء بضعة أيام، وقامت نجلاء بترتيب الرحلة لهم هديـة زواجهـم وذهبت إلى قريتها لقضاء هذه الأيام هناك، وأخبرت والدها أن أسامة ذهب إلى الإسكندرية بضعة أيام للعمل، وبعـد مـرور بضعة أيام اتصلت سالي بنجلاء، وأخبرتها أن أسامة في طريقـه إليها ليصطحبها إلى الإسكندرية لتقضي معهمـا بـاقي أيـام الإجازة، وبعدما انتهت أيام العطلة عاد الثلاثـة إلى القـاهرة لاستكمال حياتهم هناك كما خططوا لها.

ظل هذا الوضع قرابة العام، و لم يكتشف أحد ما بين أسامة وزوجتيه، وكان والد أسامة يأتي إلى القاهرة كل شهر لزيارته؛ بعدما قلت زيارالهما له في الفتـــرة الأخـــيرة؛ لاســـتعدادهم لاستقبال المولود الأول لهم.

وكان محمود البحيري يذهب لزيارة ابنته أيضًا كل أسبوع عندما ينتهي من جلساته بالمجلس، وفي أحد الأيام عندما لم يجد نجلاء بالمترل سأل عنها الخادمة التي استقبلته عنـــدما حـــضر، أجابته بألها عند "مدام سالي"، وأخذ يسألها عن هذه الـــسيدة التي تزورها ابنته، ومنذ متى سكنت بجـــوارهم؟ وهـــل هـــي متزوجة أم لا؟ وكم عدد أبنائها؟ وقبل أن تجيبه الفتـــاة بمـــن تكون هذه السيدة إذ بنجلاء قادمة فصرخت في الفتاة، وهـــي تطلب منها أن تذهب لتكمل عملها، وبعد أن رحبت بأبيهـــا عاد يسألها من جديد عن حقيقة هذه المرأة التي كانت تزورها، وهي ترتدي ملابس البيت، فقالت له إلها جارها الـــتي يعمـــل زوجها في إحدى الدول العربية.

وبعد عدة أيام أحست سالي بآلام الوضع، فقامت نجـــلاء بنقلها إلى المستشفى، واتصلت بأسامة لتخبره فـــأتى مـــسرعًا ورزق بأول أبناءه، وكم كانت فرحته بمولوده الجديد الـــذي طال انتظاره منذ ما يقرب من أربع سنوات منـــذ أن تـــزوج نجلاء.

حملت نجلاء الطفل وأعطته لأسامة وهي تطلب منه أن يسمي الله ثم يحمله، فأخذ أسامة منها الطفل وقبله، وسألته عن الاسم الذي يريد تسميته له، فأجابتها سالي: "سوف نسميه أحمد".. نظرت إليها نجلاء بامتنان وهي تغالب دموعها، فأكملت سالي حديثها بأنها لو كان الله قد رزقها بطفلة لأسمتها "نجلاء".

بعد مرور شهر على مولد أحمد، طلبت سالي من أسامة أن يصارح أحمد بحقيقة زواجه من نجلاء، وأنه يستطيع أن يتزوجها بعد أن يتم طلاقها منه دون موافقة والدها، فتبسم أسامة وهو يعدها بأن يفعل ذلك، لكنه قال لها: "إن أحمد لن يتزوج نجلاء إلا بموافقة والدها، ولو كانت تلك هي أخلاقه لتزوجها قبل عدة أعوام". فقالت سالي: "وما يدريك لعل الزمان قد غيره؟"

فقال لها: "إنه مهما طال الزمان وتغيرت الظروف لن يتغير أحمد فهو ثابت على مبادئه مثل الجبل، فقد زرع فيه والده المبادئ منذ صغره، ولن يتخلى عنها أحمد مهما كبر".

فتبسمت سالي، وهي تقول له: "لقد مرت أعوام و لم تسره فيها، وتتحدث عنه كأنك كنت معه ليلة أمس وتعرف فيمَ يفكر الآن". فقال لها إنه يعرف أحمد أكثر من نفسه.

الفصل الثالث

إفاقة ضمير

-٢٥-

بالرغم من مرور تلك السنوات على دخول محمود البحيري مجلس الشعب، وانشغال فارس في عمله بعد تعيينه معيدًا في كليه الطب، إلا إنه لم ييأس في استرداد حقه وحق إخوته الذي استولى عليه عمه، وكان عندما يذهب إلى البلدة في نهاية كل أسبوع ليقوم بالكشف المجاني على أهالي القرية، وعندما يقوم أحد بسؤاله عن علاقتهم بعمهم، يقوم بسرد كل تفاصيل قصته مع عمه، ويؤكد دائمًا أنه لن يترك حقه في يد من كان السبب في وفاة والده.

وبينما كان فارس يمتطي حصانه في إحدي زياراته للبلدة ويمر به أمام منزل عمه كعادته، إذ به يرى مجموعة العمال يقومون بنقل مجموعم كبيرة من أكياس الأرز إلى داخل المخازن الخاصة بعمه بجوار منزله، وعندما استعلم عن الأمر، أخبروه بأن عمه يشتري محصول الأرز من المزارعين كما كان يفعل الدكتور ماجد.

عاد فارس إلى منزله مسرعًا، وفتح جهاز الكمبيوتر الخاص به، وكتب إعلانًا بأنه سوف يقوم بشراء محصول الأرز بأعلى الأسعار، وقام بطباعة كمية كبيرة منها وأعطاهم إلى خفيرهم الخاص، وأمره بتوزيعها أمام كل المساجد بعد صلاة الجمعة،

وكلف أحد أقاربه بتولّي الاتفاق على الشراء من المزارعين حتى يعود من القاهرة.

سافر فارس إلى القاهرة، وهو لا يعرف من أين يحضر الأموال التي سوف يقوم بشراء الأرز بها، ولا يعرف لمن سوف يبيعه، فقد كان كل همه هو معاندة عمه وإثارة غضبه، وعندما أخبر أحمد بذلك، وعده أحمد بأن يقرضه مبلغًا من المال من رصيد الشركة على أن يرده بعد انتهاء عملية الشراء.

عاد فارس إلى البلدة ومعه مائتا ألف جنيه، وفوجئ بوجود كمية كبيرة من أكياس الأرز أمام منزله، رغم أنه لم يترك أموالًا؛ فأخبره قريبه بأن معظم المزارعين أحضروا بضاعاتهم وأرجئوا قبض الأموال بعد حضوره من القاهرة، وأخبره الرجل بأن الكثيرين منهم قد أجمعوا على بيع كل محاصيلهم له، خاصة أن عمه لا يقرضهم أموالًا حتى ينتهوا من الحصاد على عكس ما كان يفعل الدكتور ماجد.

وأخذ المزارعين يتوافدون على منزله يومًا بعد يوم، ووصل الخبر أيضًا إلى مزارعي القرى المجاورة، الذين جاءوا إلى فارس لبيع محاصيلهم.

علم محمود البحيري بما يقوم به فارس، واستعان كعادته بمشحوت الخفير الذي دائمًا ما يضع الحلول أمامه، فوعده بأن يتصرف تجاه هذا الأمر، وبأنه سوف يقضي على فارس تمامًا،

ويخرجه من هذه العملية بخسارة فادحة تجعله يقضي بقية عمره يسدد ديونه، وربما تؤدي به إلى دخوله السجن، فأمره البحيري بتنفيذ ما يراه دون أن يعود إليه.

بعد عدة أيام كان فارس قد اشترى كمية كبيرة مـــن الأرز واتفق مع تاجر على الشراء، وبالفعل أرسل التـــاجر رجالـــه لاستلام البضاعة، وبعد أن تم تحميل كل الكمية على السيارات قرابة الواحدة بعد منتصف الليل، وبعد خروجهم من القريـــة، فوجئوا ببعض قُطاع طرق يطلقون عليهم النـــار ويوقفـــوهم، ودار بينهم تبادل لإطلاق النار؛ مما أصاب أحد السائقين بطلق ناري أثناء محاولته الهروب بسيارته منهم، وتم إيقـــاف جميـــع السائقين، وتم تقييدهم بالحبال.

وفي نفس اللحظه التي هم فيها قطـــاع الطـــرق بـــسرقة المحصول، فوجئ الجميع بوصول مجموعة كبيرة مـــن رجـــال الشرطة يطوقون المكان بأكمله وتم القبض على جميـــع أفـــراد العصابة، وتم نقل الرجل المصاب إلى المستشفى العـــام ومعـــه فارس الذي قدم مع رجال الشرطة، والذي اتصل به ضـــابط المباحث بعدما وصله بلاغ من مجهول، يقـــول فيـــه إن لديـــه معلومات مؤكده بأن أشخاصًا سوف يقومون بقطع الطريـــق على سائقي السيارات الذين يحملون كميات من الأرز، وبعـــد أن تأكد الضابط من صحة المعلومات التي أدلى بها المجهول، وتم الاتصال بفارس وإبلاغه، قاموا بوضع الكمائن التي سوف تمـــر

بها السيارات، حتى سمعوا ضرب النار، وقاموا بحصار المنطقة والقبض عليهم.

وفي مركز الشرطة وبعد محاولات عديده ، اعترف الجميع أن الذي حرضهم واتفق معهم هو مشحوت الخفير، وفي الحال أمر ضابط المباحث بإحضاره، الذي قام بدوره بنفى صلته بكل هؤلاء، وأنها أول مرة يرى فيها هؤلاء الاشخاص، وبعد قرابة الساعتين جاء محمود البحيري إلى قسم الشرطة، ومعه محامٍ ليدافع عن مشحوت، وانتهى التحقيق ببراءة مشحوت مما نسب إليه، وحبس المتهمون على ذمة التحقيق.

بعد نفاد الكمية التي اشتراها فارس وقام ببيعها، علم أن عمه يبحث على كبار التجار ليشتري منهم الأرز بأعلى الأسعار حتى لا يُظهر أمام ابن أخيه بالانكسار مهما كلفه ذلك من ثمن، وعندها قرر فارس أن يبيع لعمه كل الكميات التي يطلبها بطريق غير مباشر، وأخبر خاله العمدة بذلك، واستعان في ذلك بوالد خطيبته "سماح"، فقام الرجل بالاتصال بالسيد مدير أمن محافظة من أكبر المحافظات إنتاجًا للأرز، وطلب منه أن يخبره بأسماء أكبر تجار الأرز فيها، وبعد حوالي نصف الساعة قام الرجل بالاتصال به وأخبره ببعض الأسماء وعناوينهم وأرقام تليفوناتهم، فقام والد سماح بالاتصال بأحدهم، وأخبره بأنه يريد التعامل معه في شراء كل كميات الأرز التي يمكنه جمعها، واتفق معه على طريقة الشراء، وهي تسديد المبلغ على دفعات.

وفي اليوم التالي ذهب فارس ومعه أحد أصدقاء خالـــه إلى المحافظة، واتفقا مع التاجر على شراء كـــل الكميـــات الـــتي يمتلكها، واتفقوا معه على السعر، وهو ألف وعشرون جنيهًـــا للطن، على أن يتغير السعر إذا كان هناك أي جديد، واستأذنه فارس أن يترك أحد الرجال الذين يثق بهم التاجر يذهب معهم إلى البلد لتأمين عملية التخزين، وأخبره أنهم ســـوف يقومـــون بتخزين كل الكمية إلى العام القادم؛ فأرسل معهم شابًّا يعتـــبره الرجل مثل ابنه.

وفي اليوم التالي أرسل فارس الرجل إلى عمه، وأخبره بـــأن لديه كمية كبيرة من الأرز يريد بيعها له، وأنه سوف يحـــضرها له حتى منزله، واتفق مع محمود البحيري على توفير قرابة الألف طن بسعر ألف ومائة جنيه للطن، ورغـــم معرفـــة الـــبحيري بارتفاع السعر، إلا أنه وافق في الحال، واتفق معه الشاب على إحضار الكمية على مراحل، وكلما أحضر جزءًا منها يقـــبض المبلغ الخاص بها، ومع إحضار الكمية كاملةً يكون قد قـــبض ثمنها كاملًا.

تأخر الشاب ثلاثة أيام عن إحضار الدفعة الأولى من الكمية المتفق عليها، فقام محمود البحيري بالاتصال به فأخبره الـــشاب بأن الأرز قد زاد سعره خمسين جنيهًا أخرى، ولذلك لم يستطع الشاب الاتصال به، و لم يستطع أن يخبره بذلك، فطلـــب منـــه البحيري استكمال الاتفاق، وإحضار كل الكميات المتفق عليها

بالسعر الجديد، وفي اليوم التالي جاء الشاب، وقد أحضر معه ربع الكمية المتفق عليها، وكان البحيري قد جهز مكانًا لوضع الكمية به، وبعد أن استلم مشحوت الكمية ذهب البحيري إلى البنك، وأعطى الشاب المبلغ بالإضافة إلى مائة ألف جنيه كعربون للدفعة المقبلة.

ظل هذا الحال مدة أسبوعين كان البحيري فيها قد استلم كل الكمية المتفق عليها، واضطر البحيري للاقتراض من البنك لتوفير باقي المبالغ المستحقة عليه للتاجر لإنهاء هذه الصفقة.

وبعد أن قبض التاجر كامل المبلغ، وأرسل به معاونه إلى البنك، جلس مع محمود البحيري أمام منزله ، وإذ هم يرون فارس قادمًا نحوهم، وعندما رآه الرجل ذهب إليه وصافحه وسأله فارس عن الأخبار، فقال له إن كل شيء تم حسب الاتفاق، وأن جميع المبالغ تم تحويلها في حسابه الشخصي وآخر هذه المبالغ قد تم تحويله منذ نصف الساعة، وبعدها ركب الرجل سيارة فارس ونظر فارس إلى عمه، وهو يشكره على أرباحه من هذه الصفقة، وقال له إن هذه الأرباح سوف يهديها لأي شخص يترشح أمامه في الانتخابات المقبلة، وقال له: "أنصحك ببيع الأرز؛ لأن سعره مهدد بالهبوط في الأيام المقبلة".. وانطلق بسيارته.

ظل محمود البحيري صامتًا بعد كلمات فارس وبعد الخسارة التي لحقت به، وكأنه تلميذ وقف أمام أستاذه لكي يتلقى منه

درسًا في المكر والخديعة، ويلقنه درسًا آخر من دروس الحياة، وأنه مهما علا بماله ونفوذه فهو فقير العقل أمام هذا الشاب الطبيب المتعلم، والذي تربى على يد والده ماجد البحيري، والذي كان من أعظم رجال الاقتصاد والقانون.

وبعد انطلاق فارس بسيارته سقط محمود البحيري على الأرض في حالة من الإغماء، وتم على إثرها نقله إلى المستشفى لإجراء اللازم، و لم يكن إغماء البحيري بسبب حزنه على المال الذي خسره، ولكن بسبب خسارة معركته أمام فارس، ومع أهل البلد الذين رفضوا أن يبيعوا له بضاعتهم.

بعد خروج محمود البحيري من المستشفى اضطر إلى بيع الأرز بسعر أقل "أربعمائة جنيه" للطن عن سعر الشراء؛ مما عرضه لخسارة قرابة مليوني جنيه، وكان لا بد له من سداد القرض الذي أخذه بضمان أحد المشروعات، إلا أن المتبقي من الخسارة لا يكفي تسديد كل المبالغ المستحقة لسداد الديون، فاضطر لإنهاء أحد مشروعاته لسداد المبلغ كاملًا.

- ٢٩ -

عاد فارس إلى القاهرة ومعه كل الأموال التي ربحها من عمه، وأعطاها لأحمد لينشئ بها شركة جديدة لهم بالإضافة إلى المبالغ التي كان هو وأحمد قد وفراها من عملهما، ومن شركة الاستيراد والتصدير التي كان لأحمد نصف أسهمها.

وبعد عدة أيام كان أحمد قد استأجر مكانًا لإقامة الشركة الجديدة، ثم بدأ أحمد في إجراءات إنشاء وإشهار الشركة، وبعدما أنهى كل ذلك أراد أحمد تصفية الشركة القديمة، والتي كان أحمد شريكًا فيها، والتي أصر صاحبها على تسميتها بـ"شركة الدكتور ماجد البحيري للاستيراد والتصدير"، فقام أحمد بالاتصال بوالد شريكه "عضو مجلس الشعب". وبعد أن قابله أحمد طلب منه ضرورة حضور الشريك الأصلي، فقال له الرجل إن ابنه خارج البلاد، وإنه سوف يرسل له المحامي الخاص بهم لينهي جميع الإجراءات، وقال له الرجل إنهم سوف يبيعون الشركة لأحمد بنفس رأس المال الأصلي، لكن أحمد رفض أن يتفاوض مع المحامي وأصر على حضور "المالك الأصلي" الذي وقف بجواره دون أن يراه طوال كل هذه السنوات، وأمام إصرار أحمد على موقفه لم يكن أمام الرجل إلا أن وعده بأن يتصل بابنه، ويخبره بما قال أحمد ووعده بأن يطلب منه الحضور إن أمكن ذلك.

بعد أسبوع من هذا الاتفاق، وأثناء وجود أحمد في الجامعة للتدريس، اتصل به سكرتير مكتبه وأخبره أن الأستاذ إسـلام عبد الهادي السقا شريكه في الشركة ينتظره في مكتبه.

ذهب أحمد مسرعًا ليرى ذلك الرجل الذي وقف بجـواره طوال هذه السنوات ولم يره حتى الآن. وعندما وصل الشركة أخبره السكرتير أن الرجل في انتظاره في مكتبه ، فدخل إليـه فوجده ينظر من شرفة المكتب ولم يحس بدخول أحمد عليه .

ألقى أحمد السلام فاستدار الرجل ونظر إلي أحمد، انـتفض أحمد عندما رأي وجه الرجل وأحس أنه في حلم ليس له صـله بالواقع فقد رأى وجهه يشبه كثيرًا مغاوري الصياد صـاحب العشة التي في أرضهم . وقف أحمد لحظات مندهـشًا؛ وهـو يقارن بين مغاوري الصياد ذلك الرجل البسيط وبين إسلام هذا الشاب اليافع ابن عضو مجلس الشعب، وفي النهاية استبعد كل ذلك، وقال لنفسه مثلًا شعبيًا يقال في مثل هذه المواقف: "يخلق من الشبه أربعين". مد إسلام يده بالسلام لأحمد، وهو يـسأله عن أحواله وأخبار إخوته وعن أحوال نجلاء ابنة عمـه الـتي تزوجت من وكيل النيابة صديقه فزاد ذلك الكلام من دهشته، وانتبه ليد إسلام الممدوده إليه فأمسك يده وهو يعتـذر لـه ، وبعد أن جلسا في كرسيين مقابليين ، سأله أحمد كيف عـرف أخباره وأخبار نجلاء فأجابه إسلام بسؤال آخـر "ألم يخـبرك والدي بأنني أعرف والدك جيدًا، وأنه كان لـه كـثير مـن الأفضال علي وعلى والدي؟".

وأعاد أحمد ماقاله الرجل في نفسه "نعم كان لا بد لي من الاهتمام بأبناء هذا الرجل صاحب كل هذه الأفضال"، وكأنه لم يقتنع بكلام الرجل عندما تحدث فقد كان صوته قريبًا جدًا من صوت مغاوري مع الفارق البسيط في اللهجة وبعدها سأله إسلام عن صديقه أسامة الذي أصبح رئيسًا للنيابة؛ وقال لأحمد إن موقفه من إسلام الذي لم يتغير هو موقف رجل ذو أخلاق حميدة ورجل يؤمن بالنصيب فدهش أحمد من ذلك فلا أحد يعرف كل هذه المواقف غير مغاوري، وكأنه لم يصدق أن هذا الرجل ليس مغاوري فسأله ثانيةً: "من أنت؟".

ضحك إسلام بصوت عالٍ وأجابه: "أنا إسلام عبد الهادي السقا شريكك وابن عضو مجلسَ الشعب".

اعتذر أحمد علي حدته في الكلام وهو يقول له إنه قريب الشبه من شخص يعرفه فقال له: "هل تقصد مغاوري الصياد؟". فسأله أحمد بإلحاح: "هل أنت مغاوري !؟". فقال له إسلام وهو يبتسم: "أنا إسلام شقيق مغاوري وتوأمه".

انفعل أحمد وسأله كيف يكون مغاوري أخاه؟ وما حقيقة كل هذه الأموال؟ ولماذا يترك أخاه أو توأمه كما ادعى يعيش هذه الحياة البسيطة، ويعيش هو في كل هذا الثراء؟!

ابتسم إسلام وهو يجيب عن كل هذه الأسئلة فقال له: "أنا صعيدي مثل مغاوري، لكنني قضيت معظم حياتي بعيدًا عن

الصعيد وعن مصر؛ ولذلك أتحدث مثل "أبناء بحـــري" الـــذين يعيشون بعيدًا عن الصعيد. أما عن حقيقة الأموال فأنـــا ابـــن رجل ثري وعضو مجلس شعب، كما أنني أعمل مهندسًـــا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث كانت دراستي هناك.

أما حياة مغاوري فهو الذي اختارها، وذلك بسبب قـــضية القتل التي حُكم عليه بالسجن فيها، وقرر الهروب حتى تنتـــهي المدة ويعود، ولم يكن أمام والدي إلا أن أرســـله إلى صـــديقه الدكتور ماجد البحيري؛ حيث تبعد محافظته كثيرًا عن الصعيد ومن الصعب الوصول إليه".

فقال له أحمد: "إن كنت قد أكملت تعليمك في الولايـــات المتحدة، وأنت توأمه فماذا عنه؟!"

فقال له: "إن مغاوري حاصل علـــى ليـــسانس الآداب في الفلسفة".

اقتنع أحمد بكلامه؛ لأنه كان دائمًـــا يلـــتمس في كـــلام مغاوري بعض الحكمة أو الآراء الفلسفية، وتذكر أحمد والـــده الذي كان في بعض الأوقات يرسل إلى مغاوري لاستشارته في بعض الأمور، ويجلس معه بالساعات، ويطلب من الجميـــع ألا يزعجهما أحد.

قال له إسلام إنه لم يرَ الدكتور ماجد إلا مرة واحدة لكنـــه أحبه، واحترمه بعد ما فعله مع مغاوري عندما أعطاه أرضًا يبني

عليها بيتًا يعيش فيه، وأعطاه قاربًا للصيد يرتزق منه، وبعدما وقف بجواره بعد خروجه من السجن، فانتبه أحمد للحديث عندما قال كلمة سجن، وسأله: "كيف دخل السجن ولم يقبض عليه في القضية التي هرب من أجلها؟"

ابتسم إسلام وهو يفكر وكأنه يبحث عن الجواب، وقال له إن أباه استخدم نفوذه، وأخرج له بطاقة شخصية باسم مغاوري حتى يستطيع الهروب بها بعيدًا عن المباحث، فسأله أحمد عن اسم مغاوري الحقيقي، فقال له اسمه محمد فسأله أحمد ثانيةً: "وماذا فعل عندما طلب منه إجراء الفيش والتشبيه في قضية تعاطي المخدرات؟"

فتبسم إسلام ثانيةً وبدا أنه قلق من أسئلة أحمد الكثيرة، وقال له: "إن الدكتور ماجد قد طلب من ضابط المركز أن يقوم أحد الأشخاص الذين ليس لهم سوابق بعمل الفيش والتشبيه بدلًا منه، وأقنع الضابط بأن مغاوري هذا مطلوب للثأر، وقد يعلم أصحاب الثأر مكانه عن طريق بياناته بالداخلية إن كان لهم معارف بها".

وبعد ذلك طلب منه إسلام أن يتحدثا في العمل وكيفية حل هذه الشركة، وكأنه يريد الهرب من أسئلة أحمد الكثيرة، وعرض على أحمد أن يقوم بشراء الشركة بنفس أسهمها القديمة؛ لأنه لن يستطيع أن ينشئ شركة جديدة تحمل نفس

الاسم، ثم قال لأحمد إنه لا يحتاج المال في الوقت الحالي، وقـــام إسلام بكتابة تنازل عن نصيبه في الــشركة لأحمـــد ماجــد البحيري.

أصر أحمد أن يأخذ إسلام كل المال الذي يخص نـصيبه في الشركة، لكن إسلام أقسم له أنه لا يحتاجها في الوقت الحالي، وأنه لو أخذها فسوف تضيع بأكملها، وأن أحمد ربما يحتاجهـــا في إتمام الفرع الثاني للشركة؛ فأصر أحمد على إعطائه إيـــصالًا يضمن له هذه الأموال، فوافق إسلام على ذلك، وبعدها ذهبـــا معًا، ومعهما المحامي إلى الشهر العقاري لإتمام باقي الإجراءات.

عاد الأمل من جديد يدق باب أبناء الدكتور ماجد البحيري، خاصة بعد إنشاء فرع ثانٍ لشركتهم، وبعد أن أصبح لهم شركة ذات فروع، وبنفس العملاء الذين كانوا في الشركة القديمة، ورغم إنشغال أحمد في الدراسة والتحضير لمناقشة رسالة الدكتوراه، إلا أنه لم يهمل رعايته للشركة، بل كان فارس بين الحين والآخر يذهب إلى الشركة ليتابع سير العمل أثناء انشغال أحمد، وكم كانت سعادة فارس بالشركة الجديدة؛ لأنه اعتبر أن رأس مال إنشائها من حقهم الذي سلبه عمه.

في أحد هذه الأيام أثناء تواجد فارس بمقر الشركه، تفاجأ بقدوم نجلاء هي وزوجها أسامة!! وبرغم كراهية فارس الشديدة لعمه إلا أن حبه واحترامه لنجلاء لم يتغير حتى بعد زواجها من أسامة؛ لأنه كان يعلم أنها مغلوبة على أمرها، وعندما علم أنها سعيدة في حياتها مع أسامة تمنى لها التوفيق في حياتها، بعد أن كان في بادئ الأمر يضع اللوم على أسامة لتعديه على حق أخيه في الزواج من نجلاء.

رحب فارس بأسامة ونجلاء بحرارة، فأراد أسامة أن يخبره بحقيقة ما حدث، لكن فارسًا لم يترك له الفرصة لذلك، وقال له إن حقيقة ارتباطهما هو لا يريد أن يعرفها، فهذا يخص أحمد

فقط، وأن كل ما يخصه هو سعادة نجلاء شقيقته، وأنـــه لـــو حدث وأغضبها أو اعتدى على كرامتها، سوف يكون فـــارس أول من يقف في وجهه لرد حقها منه، وبعد هذا الكلام الذي أسعد نجلاء، طلب منه أسامة أن يطلب من أحمد الحضور لأمر مهم، وطلب منه ألا يخبره بوجودهما.

اتصل فارس بأحمد وأخبره بضرورة الحضور؛ لأن شخصًا ما ينتظره وقد رفض إبلاغه باسمه، فتوقع أحمد أن هذا الشخص هو إسلام شقيق مغاوري، فحضر بعد ربع ساعة من الاتصال.

عندما دخل أحمد مكتبه وجد نجلاء وأسامة، فوقف هنيهـــة ثم أخذ يبتسم ويرحب بهما، واحتضنه أسامة وظل بضع دقائق يربت على كتفه كأنه يريد أن يتأكد أن أحمد ما زال صـــديقًا له.

جلس الجميع، واستأذن فارس وتركهم، وأخذ أسامة يسأل أحمد عن أخباره، وعما وصـــل إليـــه في موضـــوع رســـالة الدكتوراه، فأخبره أنه قد اقترب على الانتهاء منها، ويـــستعد الآن لمناقشتها، ثم قال له أسامة إنه كان يتوقع منه مقابلة غـــير تلك التي رآها الآن، فقال له أحمد: "ولماذا تتوقع غـــير ذلـــك فأنت صديق عمري وزوج شقيقتي".

ابتسم أسامة وهو يقول: "إن كانت صـــداقتنا مـــا تـــزال مستمرة، فأنا أشكرك على وفائك، أما بالنسبة لنجلاء فهـــي

شقيقتي أنا وليست شقيقتك"!! فوجئ أحمد بما يقوله أسامة و لم يفهم ما يقصده، فقام أسامة من مجلسه، وقال له إنـــه ســـوف يذهب ويترك نجلاء تشرح له كل ما حدث بالتفصيل، فوقف أحمد لا يفهم شيئًا سوى أنه تركه مع نجلاء وهو لا يعلم مـــاذا يقول لها!

بعد خروج أسامة أخذت نجلاء تقص له حكايتها مع أسامة منذ أن تقدم لخطبتها، و لم يزرها إلا مرة واحدة ثم ما حـــدث بينهما ليلة الزفاف، وعن العهد الذي أخذه على نفسه تجاههـــا وتجاه أحمد، وكيف كان يعاملها طوال هذه الفترة، وقصت له قصة زواجه الثاني، وابنه الذي سماه أحمد، حتى هذا اليوم الذي أتى بها إلى هنا دون أن تعرف، ولما تفاجأت بوجود فارس هنا، وكأن الأمل قاد عاد الى أحمد من جديد، ومن شدة سعادته قام من مجلسه ليحتضن نجلاء فرحًا بذلك، لكنها فاجأته وهي تشير له بيديها أن يبتعد عنها، وتقول له إنهما لا بد أن يحترما الرجل الذى ضحى من أجلهما، فهي ما زالت زوجته.

احترم أحمد ما قالته وعاد إلى مكتبه من جديد، وأمـــسك هاتفه وهو يطلب منها رقم تليفون أسامة، وقام بالاتصال بـــه ورجاه أن يحضر زوجته وابنه الصغير، وجاء أسامة ومعه سالي وأحمد الصغير الذي سعد به أحمد كثيرًا، كما فرحـــت ســـالي بلقاء أحمد الذي تحدثت معه في التليفون قديمًا أكثر مـــن مـــرة وفت علاقتها بأسامة أيام الجامعة.

بعد عدة أشهر أراد محمود البحيري إعادة استكمال مشروع تسمين المواشي الذي باع جزءًا كبيرًا منه لسداد القرض الذي أخذه من أجل منافسة فارس، ودهش البحيري عندما وجد ارتفاع أسعار المواشي بالنسبه للأسعار التي باع بها، لكنه اضطر للشراء رغم هذه الأسعار المرتفعة، وكان عدد رؤوس المواشي التي اشتراها لا تتعدى الأربعين بالمائة من التي كان يملكها قبل البيع.

جلس البحيري بجوار "إسطبل الخيل" يلوم نفسه على وقوفه أمام فارس، وانسياقه وراء خوفه من انتصار ابن أخيه عليه، وأخذ يقول لنفسه إنه لا بد أن يفهم أن ابن أخيه أفضل منه تفكيرًا وعقلًا، فهو طبيب ومثقف، كما أنه ابن الدكتور ماجد البحيري رجل من أهم رجال الاقتصاد، وكان لا بد له أن يفهم أن ابن أخيه صاحب حق، فلا بد أن ينتصر؛ أما هو فظالم، وعدالة السماء تقر بأن الحق لا بد أن يعود لأصحابه.

مع علم محمود البحيري بكل ذلك لم يستطع رد الحقوق لأهلها، فاكتفى بالاعتراف بها أمام نفسه، بل وأحيانًا يرفض الاعتراف بها أمام نفسه خجلًا منها، وكان دائمًا ما يقول

للناس أنه كان السبب في كل هذا المال، وأن أخاه كان دائمًا مشغولًا بدراسته، وبعد دخوله في الحياة السياسية أهمل كل المشروعات فتابعها هو واهتم بها، وأن دكتور ماجد لا يملك سوى الفيلا التي بناها من عمله في الجامعة وفي الحياة السياسية.

كان الجميع يعلم حقيقة محمود البحيري رغم ما يزعمه عن نفسه وعن أخيه وأبنائه، ولا يصرحون بذلك خوفًا من معاداته، بعدما أصبح الآن صاحب السلطة والمال.

وعندما جاءه مشحوت في مجلسه، أخبره ببعض ما دار في عقله، وأنه أخطأ عندما عاند فارسًا، فقال له مشحوت إن ذلك حدث مع فارس بالحظ والصدفة لا أكثر، فهو لا يعرف أي شيء عن التجارة ولا غيرها، فجميعهم مثل أبيهم منشغلون بالدراسة، لكن المال والتجارة هو ما يتقنه محمود البحيري الذي كون كل هذه الثروة، وكأن محمودًا أراد أن يصدق ذلك فصمت، ثم استدار لمشحوت، وهو يقول إن الخسارة هذه المرة كانت كبيرة جدًّا، فقال له مشحوت: "ما دام للإنسان عقل يفكر به فهو يستطيع تعويض كل شيء يضيع منه".

تزامن ذلك مع قدوم أحد الفلاحين بالشاي فأمسك مشحوت كوب الشاي وارتشف منه بصوتٍ عالٍ، ثم قال له إنه أتى الآن ليخبره بالمشروع الذي سوف يربح منه أموالًا

كثيرة تعوض كل ما ضاع منه، سأله محمود على هذا المشروع فأخبره أن المشروع هو إعاده زراعة نبات البانجو في الجبل دون أن يراه أحد، ودون أن يعرف أحد من يكون صاحبه إذا - لا قدر الله - كُشف المستور، فعارضه محمود السبحيري بشدة، وقال إنه لا يريد أن تنتهي حياته وهو بين أسوار السجون.

قال مشحوت إن كل ذلك لن يحدث؛ وأنه في حاجة الآن للأموال لاقتراب موعد الدورة الانتخابية القادمة، وأنه لن يقوم سوى بدفع مليون جنيه، تعود إليه بضعفها في خلال عدة أشهر مثلما حدث في المرة السابقة.

وفي اليوم التالي جاء مشحوت ومعه التاجر الذي أقنع البحيري بضرورة زيادة المساحة هذه المرة؛ لتكون الأخيرة وتكون "خبطة العمر" كما يقولون. ووافق البحيري، وطلب منه الرجل ثلاثة ملايين جنيه فاضطر إلى اقتراض المبلغ من البنك، وأعطاه له مستغلًا بذلك نفوذه في إنهاء إجراءات القرض خلال عدة أيام، ولم ينسَ البحيري أن يأخذ عليه إيصالًا بالمبلغ كاملًا، وكأنه يضع في خزينته دليل إدانته دون أن يشعر.

أما نجلاء فما زالت زوجة مع إيقاف التنفيذ، فهي ما تـــزال تعيش مع زوجها في القاهرة كأنها شقيقته وشقيقة زوجته والأم الثانية لابنه الذي سمي على اسم حبيبها، لكن الوقت قد مضى ولا بد من الطلاق؛ خاصة بعدما اســـتقر أســـامة في حياتـــه الزوجيه الجديدة، وبعد أن اصبح أحمد الآن أســـتاذًا في كليـــة التجارة وصاحب شركه للاستيراد والتصدير، وأخرى لتجـــارة الخضر والفاكهة.

وذات يوم أخبرتها سالي أن أسامة يريد أن يطلقها الآن؛ إن أرادت، فجلس الثلاثة يتشاورون في كيفية إعـــلان الطـــلاق، والتفكير في سبب له.

اقترحت سالي أن يكون السبب هو الإنجاب؛ فرفض أسامة ذلك بشدة؛ لأنه لو قال إن نجلاء لا تنجب فسوف يكون ذلك عيبًا في حقها، وإن قال إن السبب أنه هو الـــذي لا ينجـــب فسوف يتهمها الناس بأنها زوجة ليست أصيلة، لم تقف بجوار زوجها، فقالت سالي إن هذا هو السبب الوحيد المقنع للطلاق، خاصة أن رأي الناس لا يشغلهم في شيء، فأسامة ليس مريضًا بالعقم، ولديه طفل، ونجلاء ينتظرها رجـــل يعـــرف ســـبب الطلاق، لكن كل الموضوع هو أن يتم الطلاق أمام العـــائلتين فقط.

كان أسامة في ذلك الوقت قد انتقل إلى نيابة المركز؛ مما اضطره إلى الانتقال ليعيش في البلد مع نجلاء. أما سالي فهي تعيش الآن في بيت أبيها في بلدة قريبة من بلدهم، حتى يستطيع أسامة الذهاب إليها، وكانت نجلاء أحيانًا تذهب معه لزيارتها.

وذات يوم بعد عودة أسامة من عمله جلس ونجلاء لتناول الغداء، وبعدها ودعها وودعته هي الأخرى وهي تبكي؛ وتشكره علي كل ما فعله من أجلها هي وأحمد، فسوف تفارق اليوم أخاها الذي قضت معه كل هذه السنوات دون أن يجرحها أو يعتدي على حريتها، وقامت نجلاء باحتضان أسامة، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يمس فيها جسده جسدها بخلاف يوم زفافهما عندما كان يمسك يدها أمام الحاضرين، وبخلاف يوم زواجه من سالي عندما رقصت معه.

افتعلا شجارًا كبيرًا؛ مما جذب انتباه الكثيرين من الجيران الذين رأوها وهي تصرخ في وجهه، وتطلب منه الطلاق، فما كان أمام أسامة إلا أن طلقها أمام الجميع.

وفي الحال ذهبت نجلاء إلى منزل والدها، ومعها كل ملابسها، لكنها تركت مجوهراتها التي سبق وأن اشتراها لها أسامة، وأخبرت أباها بما حدث، وأخبرته أنه أخذ يلومها على عدم قدرتها على الإنجاب، وقام بإهانتها وضربها أمام جميع الجيران.

ذهب والد أسامة إليه يحدثه فيما بدر منه تجاه نجلاء، فقـــال له أسامة إنه لا يحب التحدث في هذا الموضوع مـــرة أخـــرى؛ وأنه لن يتراجع عن موقفه مهما حدث، وفي اليوم التالي ذهب أبوه إلى محمود البحيري يحاول تهدئة الأمور والإصـــلاح بـــين ولده ونجلاء، فرفضت نجلاء هي الأخرى العودة له مطلقاً، فما كان من محمود البحيري إلا أن طلب من والد أسامة أن يحضره إلى مترله ليجري معه آخر المحاولات.

في اليوم التالي ذهب أسامة ومعه والده إلى مترل الـــبحيري، وأخذ محمود يوجه له اللوم على ما فعله مع ابنته، فقـــال لـــه أسامة إن الوقت قد فات لاصلاح أي شيء، وأنـــه "زى مـــا دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف"، وفي الحال اتـــصل أســـامة بالمأذون لاستكمال اجراءات الطلاق، بعد أن أعطى لـــنجلاء كل حقوقها التي كانت في البدايه ترفض أن تأخذ شيئاً منـــها، لكن أسامة قال لها لا بد من قبولها حتى يقتنع الجميـــع بـــأن الطلاق تم بشكل طبيعي، وبعدما عاد أسامة إلى مترله وجـــد نجلاء قد تركت كل مجوهراتها التي قد اشـــتراها لهـــا، فقـــام بالاتصال بها وسألها عن السبب، فقالت له إنهـــا لا تريـــد أن تغرمه أموالًا بعد وقوفه بجانبها، وبعد كل ما قام بدفعه لأبيهـــا أثناء إنهاء إجراءات الطلاق، وقالت له إنها تركتها هدية لسالي، فقال لها إنه عندما كان يشتري لها شيئاً من هـــذه المجـــوهرات كان يشتريها لها؛ لأنها أختته، وقال لها إن أباه في طريقه إلـــيهم

يحمل مجوهراتها، وإنها تستطيع أن تعيدها مرة أخرى إذا لم تــر
أنه جدير بأن يكون أخاها، فما كان من نجلاء إلا أن قبلــت
المجوهرات بعد كلامه معها.

كان مغاوري يجلس بمفرده، عندما استمع لصوت ماكينة ري على الجانب الآخر من النهر في إحدى الأراضي الصغيرة التي يمتلكها شخص بسيط يدعى "سعيد الأعرج"، وكان مغاوري قد سمع نفس الصوت الليلة السابقة والليلة التي تسبقها؛ مما اضطره إلى الذهاب إلى الجانب الآخر من النهر ليرى حقيقة الأمر، فأخذ معه بعض الأسماك، وذهب إلى هناك، فوجد الرجل يجلس بجوار عشه من الأحطاب ليصنع الشاي، وعندما رآه الرجل ارتبك وبدا عليه القلق، خاصة عندما سأله مغاوري عن هذه المساحة التي يسقيها سعيد، فقال له إنه يسقي مساحة صغيرة من "الكرنب".

وعندما كان مغاوري يقوم بطهي السمك قام الرجل وذهب إلى ماكينة الري، وأوقفها عن العمل، وبعد أن أكل الرجل، وأكل مغاوري ذهب ليغسل يديه عند هذه الماكينة، فوجدها محاطة ببيت صغير من الأعشاب، وكأن سعيدًا يريد ألا يراها أحد، كما رأى مغاوري أن هذه الماكينة والتي يتعدى ثمنها السبعة آلاف جنيه، لا يستطيع هذا الرجل شراءها نظرًا لفقره، كما أنها أيضًا تستطيع ري مساحات كبيرة من الأفدنة مقارنةً بالمساحة المتواضعة التي يملكها الرجل، والتي لا تتعدى العشرة قراريط، تعجب مغاوري وأخذ يتحسس أجزاءها فوجد أنبوبة كبيرة تخرج من أسفل الأنبوب الذي يخرج المياه

وتُدفن في الأرض، أما طرفها الأصلي فهو في أعلاها، وهو مغلق بشكل محكم؛ فاستنتج مغاوري من ذلك أن هذه الماكينة تقوم بري مكان آخر عن طريق ذلك الجزء المدفون في الأرض، إذا قام سعيد بإغلاق الطرف الأعلى، وبعدما عاد مغاوري إلى الرجل لم يرغب في أن يستفسر منه عن كل ما رآه، وترك هذا الاستفسار ليعرفه بنفسه؛ فاستأذن مغاوري من الرجل، وذهب إلى عشته.

بعدما تأكد مغاوري أن سعيد قد ذهب إلى منزله، اصطحب فأسًا وذهب إلى هناك وأخذ يحفر الأرض بجوار الماكينة، فوجد الطرف المدفون في الأرض ممتد لمسافات بعيدة، ولم يجد له أي نهاية، ويبدو أنه مدفون لمسافة أبعد من أرض سعيد في الاتجاه الموجه إليه الأنبوب، فقام مغاوري بتوجيه نظره إلى نهاية الأرض الزراعية في نفس الاتجاه، وقام بإعادة كل شيء إلى ما هو عليه؛ حتى لا يلاحظ سعيد ما حدث، ثم أخذ يحفر مرة أخرى، فوجد الأمر كما هو، فهناك نفس الأنبوب، وبعد عدة أمتار من ابتعاد مغاوري عن مكان الحفر، وصل إلى المساحة الرملية الخالية من الزراعة وعاود الحفر مرة أخرى بالعرض على شكل خندق؛ فاصطدم بالأنبوبه مرة أخرى، فتأكد أنها ما زالت ممتدة، وأخذ مغاوري يكرر هذه العملية، لكنه أطال المسافة بين الحفرة والأخرى، حتى قطع مسافة تتعدى الألف متر، ولم ييأس فهو مصرٌّ على اكتشاف هذا السر، إلا أن الوقت لم يساعده؛ فقد أطل الصباح، وبدأت

الشمس في الشروق، وبدأ نورها يضيء الكون لتفـضح مـن يتخذ الليل سترًا له فاضطر مغاوري إلى إنهـاء عملـه حـتى يستكمله في اليوم التالي، ثم عاد إلى عشته.

وفي اليوم التالي أخذ مغاوري ينتظر قدوم الليـل كعـروس تنتظر قدوم عريسها بعدما طالت مدة بعاده، ومرت سـاعات النهار عليه كأنها أيام ومر اليوم وكأنه سنين، وجاء الليل حاملًا معه حلمه في اكتشاف سر الماكينة العجيبة، وأخذ يراقب سعيد من بعيد، وينتظر ذهابه إلى بيته، وعندما تأكد من رحيله ذهب مرة أخرى حاملًا معه فأسه وعودًا من الحديـد ليـساعده في عمله، وبدأ عمله من حيث انتهى الليلة الماضية، فأخذ يغـرس العود الحديد في الأرض فيصطدم بالأنبوبة، فيتأكد أنها ما زالت مستمرة في المضي في نفس الاتجاه، فيقوم بالحفر فيتأكـد مـن وجودها الفعلي، وأخذ مغاوري يكرر ذلك عدة مرات حـتى حمله ذلك بعيدًا عن مكان آخر حفره في الليلة الماضية بحـوالي ألف متر أخرى، وفي النهاية وجد نفسه وسط مساحة شاسعة من المسطحات الخضراء.

وقف مغاوري لا يصدق ما يراه، ويـسأل نفـسه مئـات الأسئلة عن هذه المساحة التي يقول عنها الكثيرون إن تربتـها مالحة، ولا تصلح للزراعة، كما أن ميزانية استصلاحها وتوفير المياه لها تجعل كل من يفكر في زراعتها يتراجع في الحال عـن التفكير في ذلك، واقتلع مغاوري بعـض هـذه الـشجيرات الخضراء، وجلس تحت إحدى الأشجار؛ ليتأكد من صحة مـا

شك به، فأشعل بعض النيران البسيطة في مجموعة من الأحطاب، ووضع عليها جزءًا من الشجيرات التي اقتلعها وأخذ يلاحظها، ويشم رائحتها فتأكدت شكوكه في أن هذا النبات هو نبات البانجو المخدر، وتزامن ذلك مع أذان الفجر فعاد مغاوري إلى بيته حاملًا معه جزءًا من هذه الأعشاب وحاملًا معه سر اكتشاف الماكينة العجيبة.

عندما وصل مغاوري إلى عشته استلقى على فراشه وجاءه النوم كالمشتاق، فلم يعد يهمه سر قد اكتشفه، ولم يعد في عقله إلا أن ينام حتى يستريح ويستيقظ ليفكر في ما سيفعله في هذه الجريمة التي ارتكبها أشخاص لا يعرفهم، وهو على يقين أن سعيد الأعرج ما هو إلا أداة في يد هؤلاء المجرمين.

وفي اليوم التالي، وبينما كان سعيد يجلس في بيته، وإذ بالباب يدق وعندما فتح سعيد الباب وجد رجلًا يرتدي "جلبابًا" ويبدو أنه غريب عن البلدة، وكعادة الفلاحين بعد شرب الرجل الشاي سأله سعيد ماذا يريد منه، فأخرج الرجل من جيبه مجموعة من النقود، وقال له إنه تاجر حشيش وبانجو من الإسكندرية، وأنه قد علم أن هذه المنطقه يكثر بها زراعة البانجو، ويريده أن يدله على اسم أكبر تاجر هنا، وأن هذه النقود هي مقدم عمولته، فقام سعيد من مجلسه، وهو يصرخ بالرجل أنه لا يعرف هؤلاء الناس، ولا يستطيع خدمته فيما طلب منه، وحتى لو كان يعرف مكانهم، فلن يدله عليه، وطلب من الرجل أن يخرج من بيته، فقام الرجل من مكانه

وهو يطلب منه الهدوء، ويطلب منه التفكير في الأمر، وأمسك نقوده وأخذ بعضها وأعطاها لسعيد، وهو يقول: "فكّــر ولا تضيع الفرصة، وسوف أصل إليك وقتما أحب أن أصل إليك".

مر أسبوع على هذا الحوار، وبينما كان ســعيد يجلــس في حقله ليتأهب للذهاب بعدما غابت الشمس، إذ بنفس الرجــل قادمٌ فقام إليه سعيد، وسأله الرجل عن طلبه، فقال له سعيد إنه لا علاقة له بمن يعملون في هذه التجارة، فأخذ الرجل يجول به وبأفكاره هنا وهناك حتى يصل لما يريد معرفته، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، فلم يتحدث سعيد عن شيء و لم يخبره بأى اسم من أسماء تجار البانجو أو الحشيش.

بدا للرجل أن سعيدًا لا يعرف أي شيء عما يتحدث عنه فاضطر الرجل أن يكشف له عن شخصيته ويواجهه بالمعلومات التي يمتلكها، فأخرج له كارنيهًا يثبت أنه ضابط مباحث جــاء ليتحرى عن المعلومات التي تم إبلاغهم بها.

وصل الضابط إلى ماكينة رفع المياه فأخرج مصباحًا مــن جيبه ووجهه تجاهها، وأخذ يسأل سعيدًا عن الماكينة، وعــن هذه الأنبوبة المدفونة في الأرض، والتي تقوم بري كــل هــذه المساحة من البانجو خلف ذاك الجبل، وأشار بيده نحو الجبــل، ارتبك سعيد وأخذ يتصبب عرقًا و لم يستطع الوقــوف علــى

قدميه، وكاد يسقط أرضًا حتى أمسك به الضابط، وطلب منه الجلوس على تلك الحجرة الصغيرة التي تصب فيها مياه الماكينة، وجلس الضابط بجانبه يوقد نارًا ليصنع الشاي، ويحدث سعيدًا عن عقوبة القضية ومدة السجن التي سوف يعاقب بها، والتي سوف تبعده عن أبنائه ربما بقية عمره.

وبعد أن انتهى الضابط من تحضير الشاي أخذ لنفسه كوبًا وأعطى سعيد الآخر، ولم يشرب منه شيئًا وظل صامتًا لا يتحدث، فقال له الضابط إنهم يعرفون أنه مجرد أداة في أيدي من أحضروا له هذه الماكينة وبنوا له هذا البيت الفخم، وأنه لو تعاون معهم سوف تعتبره المحكمة شاهدًا في القضية، وإذا لم يساعد المباحث في القبض عليهم سوف يسجن بمفرده، ويتركهم ينعمون بالأموال خارج السجون، وطلب منه الضابط أن يقرر الآن إن كان سيتعاون معهم أم لا، وقال له أنه لو كان رده الرفض سوف يقوم بالاتصال برجال الشرطة، الآن وسوف يتم توجيه تهمة زراعة نبات البانجو والاتجار في المخدرات.

وافق سعيد على الفور دون تفكير؛ حتى يقي نفسه من قضاء بقية عمره في السجن دون أن يعرف كيفية مساعدة الشرطة، وعندها طلب منه الضابط أن يقص له كل التفاصيل التي تربطه بهؤلاء، والتي تبدأ عندما جاءه مشحوت خفير محمود البحيري، ومعه رجل آخر، وأخبره أن هذا الرجل يريد زراعة

نبات جديد يستخدم في صناعة وقود الطائرات يسمى "الهوهوبا أو الهوهوجا"، وأن هذا النبات غالي الثمن ولا يصلح زراعته إلا في الأراضي الزراعية الجديدة، وهم لا يرغبون في أن يعرف أحد بهذا الموضوع حتى لا يكثر زراع هذا النبات وينخفض سعره، ثم أعطاه مبلغ عشرين ألف جنيه، وحدد له راتبًا شهريًّا خمسمائة جنيه، ووعده بخمسة أفدنة من هذه الأرض بعد استصلاحها، وذلك مقابل أن يقوم سعيد بري المساحة عن طريق أنبوبة ممتدة من ماكينة يقومون هم بإحضارها إلى هذه المساحة خلف الجبل، وبالفعل أحضرو له الماكينة، وأحضروا له كل الأشياء التي تتعلق بتوصيل المياه إلى المكان الذي يريدونه، فسأله الضابط عن الشخص الذي يحضر له الراتب الشهري، فقال له إن مشحوت هو الذي يحضره له نهاية كل شهر إلى هنا بعد صلاة المغرب، وعندها طلب منه الضابط أن يستدرج مشحوت إلى منزله، ويقول له إنه علم بأن النبات المزروع في الجبل هو نبات البانجو، فقال له سعيد إنه لو قال له ذلك سوف يُعرض نفسه للقتل، فطمأنه الضابط بأنه سوف يكون في حماية الشرطة.

في اليوم التالي قام الضابط بزرع ميكروفونات في بيت سعيد وفي "عشته" في الحقل وأيضًا في ملابسه، بعد أن حصل على إذن النيابة بذلك، ومرت عدة أيام وجاءت نهاية الشهر، ومشحوت يذهب إليه في الحقل فلا يجده، وظل على هذا الحال ثلاثة أيام فذهب إليه في بيته، وهناك سأله عن السبب في عدم

ذهابه إلى الحقل منذ ثلاثة أيام، فقال له سعيد إنه كان مريضًا، وقال له إنه ذهب خلف الجبل ورأى النبات الذي يقوم بتوصيل المياه إليه، وأن هذا النبات هو نبات البانجو.

صمت مشحوت وقال له بثقة بعد برهة من الوقت: "حتى وإن كان كلامك صحيحًا، فكل ذلك لا يعنيك فأنت تتقاضى أجرًا مقابل الماء فقط".. فصمت سعيد قليلًا ثم قال له إن رجال الشرطة لو علموا بحقيقة هذا النبات سوف يوجهون له التهمة بمفرده، وإنه لو لم يكن شريكًا في كل ذلك، سوف يذهب إلى الشرطة ويخبرهم بكل شيء، وقال لمشحوت إنه لا يعرف أحدًا غيره، وسوف يبلغهم باسمه.

وعندها ثار مشحوت وهو يقول له إنه لا يستطيع إثبات علاقته بالقضية، وأخذ ينصحه ويهدئه، لإن ما يتحدث فيه هو الجنون بعينه؛ لأنه سوف يضيع من يده مبلغًا نقديًّا يتقاضاه كل شهر، ويعرض نفسه للقتل لو علم هؤلاء التجار بما يريد سعيد فعله، وكان مشحوت يرغب من هذه الجملة في تهديد سعيد بالقتل، ثم قال له إن رجال المباحث أنفسهم لا يستطيعون الوصول إلى هذا المكان. فسأله سعيد: "وماذا يمنعهم من الوصول إليه؟"

صمت مشحوت قليلًا، ثم قال له: "إن أحد رجال المباحث شريك في هذا المشروع، بالإضافة إلى أحد أعضاء مجلس الشعب". فسأله سعيد عن اسم الضابط واسم عضو مجلس

الشعب؛ فرفض إخباره بأسمائهم، فأصر سعيد على معرفة الأسماء، وقال له إنه يريد أن يعرف حتى يطمئن فقط، فاضطر مشحوت إلى إبلاغه بهما، خاصة أن موعد جمع المحصول قد بقي عليه أيام قليلة ويتم جمعه، ودهش سعيد عندما قال له مشحوت إن محمود البحيري ورئيس مجلس المدينة هما شركاء التاجر الذي رآه سعيد من قبل، والذي أعطاه المبلغ، وبعدها وعده مشحوت بمضاعفة المبلغ الشهري إلى ألف جنيه بدايةً من الشهر القادم.

في تلك الأثناء كان قد بقي على موعد الانتخابات أيام قليلة، وقد عاد طارق من الولايات المتحدة بعدما حصل على ماجستير في الاقتصاد، والذي كان موضوع رسالته "العلاقات الدولية، وتأثيرها على الاقتصاد"، أما فارس فقد ترك كل أعماله في القاهرة بعد تعيينه معيدًا بكلية الطب، وعاد إلى البلد بسبب قرب موعد الانتخابات.

عاد فارس وطارق ليقفا بجوار أخيهم أمام عمهم الذي سلب حقهم، وتسبب في موت أبيهم، والذي جعلهم يعيشون حياة بسيطة بعد الحياة التي كانوا يعيشونها، ذلك الرجل الذي تسبب في ضياع الكثير من الخدمات التي كان يحصل عليها سكان الدائرة عندما كان أبوهم نائبهم في مجلس الشعب، وكان كل منهما يعتبرها معركته الشخصية في مواجهة الظلم المتمثل في عمهم، كما كان كل المتحمسين لأحمد من أهل الدائرة يعتبرونها معركتهم الشخصية، وكل منهم يحث الآخر على الوقوف بجوار أحمد البحيري، ويجددون الثقة في شخصية الدكتور ماجد البحيري متمثلة في ابنه أحمد، هذا الأمل الذي جاءهم من جديد، والذي افتقدوه أثناء وجود محمود البحيري تحت قبة مجلس الشعب.

أما عمهم محمود البحيري، فقد أحس بأنه انتهى بعد ما فعله معه فارس ابن أخيه، وبعدما فشلت ابنته في زواجها، والذي لم يستطع تحقيق السعادة لها رغم كل هذه الأموال التي سلبها من أخيه، وكان محمود يذهب كل يوم لقرية من قرى الدائرة، ويعقد في كل منها مؤتمرًا أو ندوة يتحدث فيها عن خبرته بمجلس الشعب، ويعدهم وعودًا جديدة مثلما كان يفعل في الدورة الفائتة، وكثيرًا ما كان يذهب إلى تلك الندوات، ولا يجد أحدًا من مؤيديه السابقين، بعد أن ظهر على الساحة الدكتور أحمد البحيري ابن عضوهم القديم.

كل تلك الأسباب دعت الأهالي أن يبتعدوا عنه، ويقفوا بجوار أحمد، وكثيرًا ما كان يسمع بعضهم يقولون إنه سرق مال أخيه، وتسبب في موته، وحاول قتل ابن أخيه، ويقولون إنه لا يصلح أن يمثلهم لص، وعندما كان يعود يوميًّا من تلك الندوات، يجلس بمفرده لساعات يحاسب نفسه ويلومها؛ لأنه أخطأ في حق نفسه عندما أصبح لصًّا، وأخطأ في حق أخيه عندما سلب أمواله، وتسبب في وفاته وهو الذي كان يعتبره ليس أخًا فقط بل وأكبر أبنائه، وأخذ يتذكر لحظاته الجميلة مع أخيه، وتذكر أنه كان يريده أن يستكمل تعليمه، وإنه هو الذي رفض ذلك.

كل هذه بعض الذكريات التي تذكرها لأخيه، والتي كانت تزيد ألمه، جعلته يفكر أكثر من مرة في أن يتنازل عن الانتخابات لابن أخيه الذي تأكد أنه أحق منه بها.

لكن حبه للشهرة والحصانة والمكانة الاجتماعية، وخوفه من تأكيد أنه سارق في أعين الناس جعله يعود عما يأمره به ضميره، وعندها يعود ضميره إلى غيبوبته التي يعيش فيها منذ سنوات، ومن أسباب هذه العودة وجود مشحوت شيطان الإنس، الذي يحاول بكل أساليبه أن يبعد عن هذا الضمير أجهزة الإنعاش المتمثلة في الحقيقة التي لا يعرفها غيره، وذكرياته التي تحاول بين الحين والآخر أن تعيد الحياة لضميره مرة أخرى بعدما يظن الكثيرون أن ضميره قد أُعدم أو انتهى، أو قُضيَ عليه بسلاح المال والطمع وحب النفس، وعندما يأتي إليه مشحوت بعد كل مرة من هذه المرات يذكّره بالحصانة والمكانة الاجتماعية والسلطة والمعارف وخوف الكثيرين من سيادة النائب، ويذكره بأن كل ذلك سوف ينتهي بانتهاء الكرسي الذهبي بمجلس الشعب؛ فيعود محمود البحيري من جديد ليواجه خصمه في معركته الانتخابية.

كان الدكتور أحمد ماجد البحيري عندما يذهب إلى قرى الدائرة، يجد الكثير من اللافتات التي تحمل اسمه، والتي كانت تكتب عليها مشاعر الأهالي تجاهه، وكأن التاريخ يعيد نفسه

مرة أخرى، فيكرر ما كان يفعله الناس مع والده، فقد ظل الدكتور ماجد طوال سنوات وجوده داخل مجلس الشعب لم يدفع ولو جنيهًا واحدًا في دعايته الانتخابية، فكان أهل الدائرة هم من يفعلونها من مالهم الخاص.

كان أحمد دائمًا يبدأ خطابه في كل قرية بالوقوف دقيقة حداد على روح والده الدكتور ماجد البحيري الذي كان يحبه الجميع، وبعدها يبدأ خطابه بآيات من ذكر الله، ثم يتحدث وهو يقول إنه لا ينتظر من وراء هذا الترشيح مالًا أو سلطانًا أو شهرةً، فالجميع يعرفون من هو، ويكفيه فخرًا وشهرةً أنه ابن الدكتور ماجد البحيري الذي أفنى حياته في خدمة هذه الدائرة، فيتعالى التصفيق والهتافات باسم أحمد واسم أبيه عضوهم القديم، ثم يستكمل أحمد حديثه قائلًا إنه ما قصد من ترشيحه إلا أن يخلص أهلها ممن يستغل نيابته عنهم؛ وذلك لأن لهذه الدائرة دينًا في عنقه، وقال أحمد إنه لو رأى أن العضو الحالي يقدم خدماته لهم كما كان يفعل أبوه لما ترشح أمامه؛ لأن خدمة الناس ونصرة المظلوم لا تحتاج لحصانة أو كرسي البرلمان، إن كان من يفعلها لا يريد مصلحة من ورائها، ثم قال أحمد إنه لم يضع لنفسه برنامجًا انتخابيًّا؛ لأنه سوف ينفذ برنامج أبيه، ويستكمل ما بدأه – رحمة الله عليه، وذلك بفضل تعاونهم معه ثم ينهي أحمد خطابه لهم وهو يقول لهم إن أصواتهم مثل الشهادة في المحكمة، وإنها أمانة سوف يحاسبون عليها يوم القيامة، فلا بد لهم أن يختاروا من يستحق أن يمثلهم تحت قبة

مجلس الشعب.. وأخذ الأهالي يحملونه فوق أعناقهم ويهتفون باسمه واسم والده الدكتور ماجد.

كانت كل لقاءات أحمد مع أهالي الدائرة وردود أفعالهم تصل إلى عمه أولًا بأول؛ مما جعله يستخدم آخر محاولاته، وأن يذهب إلى ذلك الرجل الذي يقف بجواره في مثل هذه المواقف في كل دورة انتخابية.

ذهب إلى مأمور المركز، والذي أصبح الآن لواء بالمعاش، والذي خدمه محمود البحيري باتصالاته ومعارفه، وتم تعيينه رئيسًا لمجلس إحدى مدن المحافظة، وبالرغم من أنه قد أصبح بعيدًا عن الشرطة، إلا أن محمود جعل يتوسم فيه أمله الأخير في أن ينقذه من كابوس الهزيمة الذي يطارده أينما غمض جفنه منذ أن ترشح ابن أخيه أمامه.. ذهب البحيري إلى الرجل حتى يضع حدًّا أمام حبه للكرسي والحصانة والمكانة الاجتماعية وبين ضميره الذي بدأ يفيق من نومه، وكل أمنياته أن يتفوق حبه للكرسي على ضميره؛ حتى لا يكون قد هزم أمام أبناء أخيه وأولهم فارس.

وهناك أخذ سيادة اللواء السابق يهدئ من مخاوفه، ويقول له إن ما فعله من قبل يمكن تكراره مرة أخرى، وطلب منه مقابل ذلك خمسة ملايين جنيه.

وافق البحيري دون تفكير، فهذا الرجل آخر أمل له، لكن عندما طلب منه اللواء مليون جنيه "كعربون" للمبلغ رفض

ذلك، وقال إنه سوف يقوم بدفع المبلغ له كاملًا بعد إعلان النجاح، وبعدها أمره سيادته ببعض الخطط التي لا بد من اتباعها لكسب ثقة الناس من جديد، وهي أن يعدهم ببعض الوعود حتى لو وصل الحال إلى أن يشتري أصواتهم بالمال.

في نفس اليوم بدأ محمود البحيري بتنفيذ كل ما أمره به سيادة اللواء، فأخذ يوزع بعض الأموال على بعض القرى، فيكتب لكل منها شيكًا بخمسين ألف، وربما أكثر حسب عدد أصوات هذه القرية، وعندما علم أحمد بذلك نصحهم بقبول هذه المبالغ حتى لو لم يكن في نيتهم إعطاؤه أصواتهم.

ومن ترتيب القدر أن جاء قرار السيد رئيس الجمهورية بإسناد الإشراف الكامل على انتخابات مجلس الشعب إلى وزارة العدل؛ حيث تقرر أن يكون في كل لجنة انتخابية مستشارًا منها ضمانًا لنزاهة النتائج، وحتى يتم القضاء على المساوئ التي كان يستخدمها أصحاب النفوذ والمال في الحصول على كرسي البرلمان؛ عن طريق التزوير في نتائج الفرز أو عن طريق تغير صناديق الانتخاب، وغيرها من أساليب التحايل غير الشرعي.

وجاءت ساعة الصفر، جاء يوم الانتخاب؛ والذي شهد إقبالًا انتخابيًا غير مسبوق. ذهب الجميع إلى صناديق الانتخاب

ليختاروا من يستحق شرف تمثيلهم في مجلس الشعب، ذهبوا ليدلوا بأصواتهم لمن يعلمون أنه لن يستخدمها لمصالحه الشخصية، ذهب الجميع رجالًا ونساءً ممن لهم حق الانتخاب إلى لجان الانتخاب، حتى الذين لم يرد أسماؤهم في كشوف الناخبين، كانوا يذهبون إلى الجهات المختصة، ويستخرجون بطاقات جديدة، وكأنهم يرغبون في أن ينالوا شرف اختيار العضو الجديد، الذي رأوا فيه ماجد البحيري من جديد.

- ٣٧ -

كانت كل المؤشرات والدلائل تؤكد تفوق أحمد البحيري في جميع اللجان الانتخابية، فأراد أعوان البحيري تكرار ما فعلوه من قبل، وتبديل صناديق الانتخاب؛ بناءً على تعليمات السيد رئيس مجلس المدينة أو اللواء السابق، وعندما انتهت الساعات المحددة للانتخاب قاموا بتجهيز أعداد كثيرة من الصناديق بها أصوات لصالح محمود البحيري، وقاموا بالفعل بقطع التيار الكهربي عن المدينة بأكملها كالمرة السابقة، إلا أنهم فوجئوا بالأهالي يطوقون مركز الشرطة ومجلس المدينة، وهم يحملون مصابيح من الكيروسين، كما كان مع آخرين منهم مجموعة من الأسلحة أمام بابي مركز الشرطة الأمامي والخلفي، فلم يستطع أعوان البحيري إدخال الصناديق المزورة إلى حجرة الفرز، بل وتم الإمساك بهم وايداعهم جميعًا في سجن مركز الشرطة.

ولقلة الإضاءة في حجرة الفرز رفض سيادة المأمور إجراءه، فقام فارس بالاتصال بسيادة اللواء "عصام الدبيسي" والد خطيبته سماح، فقام سيادته علي الفور بالاتصال باللجنة المسئولة عن الانتخابات على مستوى الجمهورية، وفي خلال

دقائق كانت الكهرباء قد عادت لتنير المدينة بأكملها فرحًا بقدوم العضو الجديد.

رفض الدكتور أحمد البحيري دخول حجرة الفرز حتى لا يواجه عمه الذي كثيرًا ما حمله على كتفه، والذي ما يزال له معه بعض الذكريات الجميلة، بالرغم مما فعله معه ومع كل عائلته، إلا أن فارس أصر على دخوله، وأيده في ذلك ابن خاله حسن الذي خاض الانتخابات الماضية، والذي وقف أمام الدكتور أحمد، وقال له: "لا بد أن تدخل، فليس أمامك إلا خياران اثنان، إما أن تخرج من مركز الشرطة عضو مجلس الشعب مكان والدك، وإما أن تخرج منه جثةً هامدة ماتت بشرف نصرة الحق".

عندها تعالت أصوات الجميع، وهم يهتفون باسم الدكتور ماجد ويطلبون من أحمد الدخول فانصاع لرغبة الجميع.

دخل أحمد غرفة الفرز يقدم خطوة ويؤخِّر الأخرى خوفًا من لحظة لقائه بعمه، لكنه لم يجده هناك فاضطر إلى السؤال عنه، فأخبره أحد الحاضرين أنه في منزله ينتظر النتيجة؛ ونظرًا لكثرة عدد الأصوات ظلت عملية الفرز حتى أذان الفجر.

ويتزامن الأذان مع إعلان النتيجة وارتفاع صوت الحق على صوت الباطل، معلنًا نهاية أغرب انتخابات في تاريخ هذه الدائرة الانتخابية، بل وفي تاريخ المحافظة بأكملها، معلنًا فوز

أحمد البحيري على عمه محمود البحيري بفارق أصوات تعدى السبعين بالمائة.

وبينما كان محمود البحيري ينتظر النتيجة في منزله، وكأنـــه ينتظر خبر تحديد المصير؛ إذا به يعلم بالخبر المشؤوم، ولكن هذه المرة لم يعلم به عن طريق التقارير الوقتية التي كانت تصله أولًا بأول، لكن الخبر قد وصله هذه المرة عن طريق هتاف أهـــالي الدائرة الذين تجمعوا أمام منزله، وهم يهتفون باسم الـــدكتور أحمد البحيري، هؤلاء الناس الذين حملوا أحمد على أكتـــافهم معلنين فرحتهم بنجاحه، ونجاحهم في تقرير مصيرهم برغبتهم، ومعلنين انتهاء كابوس المحسوبية والمال واللاحرية المتمثلـــة في محمود البحيري.

أما نجلاء فمنذ طلاقها، وهي لا تخرج من منزلهـــا مطلقًـــا، وتعيش حالة من اللاوعي، فهي لا تشعر بمن حولها، وكأنها لا تعرف ماذا تريد، هل تريد نجاح أبيها حتى لا يـــزداد كراهيـــة لأحمد؟! أم أنها تريد نجاح أحمد لعل ذلك يجعل والـــدها يغـــير وجهة نظره في قضية أبناء أخيه، ويعيد النظر في قضية ارتباطها بأحمد؟! فهي لا يشغلها نجاح أبيها، ولا يشغلها نجاح أحمـــد، لكن كل ما يشغلها هو زواجها من حبيب طفولتها، وبقيـــت نجلاء في صراع الاختيار هذا منذ أن أعلن أحمد عن ترشـــيحه حتى صباح يوم ظهور النتيجة.

جاء الخبر إلى محمود البحيري وكأنه الصاعقة التي أتت من السماء لتتطيح بكل أحلامه وكل ما يملكه، الحصانة والمكانة السياسية والاجتماعية، لكنها أيقظت شيئًا آخر كان ينتظرها منذ زمن بعيد، أيقظت ضميره الذي قرب على مفارقة الحياة، فعندما سمع محمود البحيري خبر نجاح أحمد أحس بإحساسين متناقضين تمامًا؛ فقد شعر بالفشل والحزن وشعر في نفس الوقت بالفرح لنجاح ابن أخيه، فلقد كان محمود البحيري أعلم الناس أنه أحق منه بالنجاح، ولولا خوفه من أن يعتبره الناس مجنونًا لخرج خارج بيته، وهتف معهم باسم أحمد البحيري، واسم الدكتور ماجد البحيري.

ووسط هذا الشعور المتناقض جاءه رجل يبلغه بأن مشحوت في ليلة أمس أثناء انشغال الجميع بالانتخابات وفرز الأصوات، قام بسرقة كل رؤوس المواشي من "المزرعة"، و لم يكن هناك إلا الحارس الذي فتح الباب على مصراعيه أمام السيارات والعمال الذين أحضرهم مشحوت على اعتبار أنه المسئول عنها، وحاول الحارس الاتصال بمحمود البحيري، إلا أن تليفونه كان مغلقًا، وتذكر محمود أنه لم ير مشحوت منذ يومين، ووقف محمود البحيري يتأمل ما حدث، ويتذكر ما فعل مع أخيه عندما ائتمنه على ماله، وما كرره مشحوت معه الآن لكنه التمس العذر لمشحوت فهو من علمه الغدر والخيانة لكنه تفوق هذه المرة على أستاذة.

كانت خيوط قضية البانجو قد اكتملت في يد النيابة المتمثلة في "أسامة داود" زوج بنت محمود البحيري سابقًا، والذي فوجئ بأن محمود البحيري متورط في القضية، عندما سمع التسجيلات التي دارت بين سعيد وبعض أفراد العصابة، والذين تم القبض عليهم أثناء قيامهم بحصاد المحصول ليلة الانتخابات، فقام "أسامة" رئيس النيابة بإصدار أمر بالقبض على مشحوت ومحمود البحيري، ومن حسن الحظ أن تم القبض على مشحوت أثناء محاولته الهرب مع تجار المواشي الذين باع لهم مزرعة البحيري.

وبينما كان محمود البحيري يحاسب نفسه بعد نجاح ابن أخيه، وبعدما علم بأن مشحوت قد سرق أمواله، إذ به يفاجأ برجال الشرطة يقتحمون منزله بعد أن قاموا بفض المتظاهرين من أمام المنزل، وفوجئ بضابط المباحث يخبره بأنه متهم بزراعة نبات البانجو المخدر، وأن النيابة قد أمرت بالقبض عليه، وعندها وقف محمود البحيري لا يصدق ما يحدث، فقد أحس أنه فقد كل شيء، حتى أمله في رد الأموال إلى أبناء أخيه.

خسر مزرعة المواشي التي سرقت، وخسر الملايين التي دفعها في زراعة هذا النبات، وخسر شركة المطاحن التي أخذ

القرض بضمانها، وسوف يخسر احترام الناس حتى بعد مماتـــه، والذي كان ينوي ربحه إذا رد كل شيء قد ســـرقه إلى أبنـــاء أخيه.

أحس محمود البحيري بإعياء شديد بعد التفكير في كل ذلك ودخول رجال الشرطة إليه، وحاول أن يحرك يـــده اليـــسرى، لكنها لم تطاوعه فقد أصابها الشلل كما أصاب نصفه الأيـــسر بأكمله، وسقط على الأرض في حالة إغماء، وكأنه يرفض كل ما حدث وكل ما فعله، وتم نقله في الحال إلى المستـــشفى، وتم تعيين حراسة من الشرطة عليه بناءً على أمر السيد أسامة داود - رئيس النيابة.

وكأن هذه رسالة أخرى من رسائل القدر، فهو الذي قـــد توسط لأسامة لدخوله النيابة العامة، وكأنه فعل ذلك حتى يقوم أسامة بإصدار أمر القبض عليه، وليس ببعيد أن يقف أمام هيئة القضاء ليشرح لهم القضية، ويطالبهم بأن يوقعوا عليه أقـــصى عقوبة؛ حتى يكون عبرةً للآخرين ممن يتاجرون بثقـــة النـــاس، وربما قد يكون أسامة هو السبب في قضائه بقية حياته خلـــف الأسوار مع اللصوص والمذنبين.

وفي المستشفى أخبرهم الطبيب المعالج أن حالته خطيرة جدًّا، وهي متوقفة على الاثني عشر ساعة القادمة، وأنه لـــو مـــضت هذه الساعات على خير سيكتب له الله الشفاء، وكان السبب

في سوء الحالة أنه مر تقريبًا بنوبة مشابهة من قبل تلـك الـتي أصابته عندما خسر معركته أمام فارس في تجارة الأرز، وظـل الحال كما هو عليه خمسة أيام، ولم يتحدث محمود الـبحيري، ولكن الطبيب أخبرهم أنه قد تجاوز مرحلة الخطـر، وطـوال الخمسة الأيام كانت نجلاء تتناوب الزيارة مع أحمـد وفـارس الذي كان يتابع حالته أولًا بأول مع الطبيب المعالج، وفـوجئ الجميع من موقف فارس مع عمه، والذي تغير تمامًا، وربما كان فارس أكثر الناس حزنًا على عمه، رغم كل ما فعلـه معـه، وكأنه قد نسي ثأره معه ونسي اليوم الذي ظل طوال السنوات الماضية ينتظر قدومه ليسترد حقه من عمه.

وعندما سأله أحمد عن سبب هذا التغير، قال له إنه عنـدما دخل حجرة الإنعاش ورأى عمه فاقد الوعي بين الحياة والموت، تذكر والده وتذكر وصيته لهم قبل وفاته.

كان رجال المباحث يذهبون كل يوم إلى المستشفى لأخـذ أقوال البحيري في التهمة الموجهه إليه، لكنهم يعـودون كمـا ذهبوا، فهو حتى الآن لم يفق من غيبوبته، وكأنها قـد طالـت خوفًا من استجوابهم له، خاصةً أن مشحوت الخفير قال أثنـاء التحقيق معه أنه مجرد أداة في يد محمود البحيري يحركها كمـا يشاء، فهو كما يقولون "عبد المأمور"، أما سيادة اللواء السابق فقد برَّأته المحكمة، فهو لا علاقة له من قريب ولا من بعيد بهذه القضية سوى أن مشحوت قد لصقه في حديثه مع سعيد حـتى يطمئنه فقط، وقال المحامي الذي أوكله أحمد للدفاع عن عمـه

أن موقف محمود البحيري سليم جدًا، خاصة بعد تبرئة سـيادة اللواء، كما أنه لم يرد اسمه إلا مرة واحدة عندما ذكـر اسمـه مقترنًا بسيادة اللواء، وأن محمود البحيري لا علاقة له بمشحوت سوى أنه يعمل معه، أو يدير بعض أعماله، وهو غير مطالـب بقراءة الصحيفة الجنائية لكل من يعملون عنده، كما أن قيـام مشحوت بسرقة أموال محمـود الـبحيري أثنـاء انـشغاله بالانتخابات قد يقنع المحكمة ببراءته، وقال فـارس للمحـامي يبدو أن مشحوت كان ينوي سرقة أموال صفقة البانجو هـي الأخرى، فهو لم يتحدث مع محمود البحيري مطلقًا عن هـذا الموضوع، وأنه لو تحدث معه ولو هاتفيًا كان قـد تـسبب في إثبات تورطه، فلقد كانت تليفوناهم مراقبه بناءً على إذن النيابة بالتسجيل.

بعد مرور عدة أيام أخرى تحسنت حالة محمود الـــبحيري، وأفاق من غيبوبته، فوجد نجلاء تجلس بجواره، وأخذت تنادي على الطبيب المعالج، وتنادي على فارس، فأتى الطبيب مسرعًا فوجد أباها يبتسم، وينظر إليها وكأنه يترجاهـــا أن تـــسامحه، فطلب منها الطبيب الخروج، لكنها رفضت، وكان فارس قـــد أتى هو الآخر وأمسكها من يدها، وقبل جبينها، وهو يطمئنها ويقسم لها أنه سوف يصبح بخير، وأخرجها من الحجرة، وعاد ينظر إلى عمه وعيناه مليئتان بالدموع وعمه أيضًا ينظر إليـــه، وكأنه علم أن فارس قد سامحه، وهو ينظر إليه ليشكره علـــى ذلك، وكأن فارس هو الآخر ينظر إليه ليطلب مـــن عمـــه أن يسامحه على ما فعل معه، وكادت عين فارس تسكب دموعها، فلاحظ الطبيب ذلك، فطلب من فارس هو الآخر الخروج.

بعدما تحسنت حالة محمود الـــبحيري، وأصـــبح يـــستطيع الإجابة عن الأسئلة عن طريق الإشارة أو الكتابة بيده الـــيمنى؛ ذهب إليه المحامي في حضور فارس وأحمد وأخبره بما يقوله أثناء التحقيق، وأثناء تواجد الجميع جاء ضابط المباحث، وأخرجهم جميعًا إلا محامي محمود البحيري، وبدأ الاســـتجواب بتوجيـــه بعض الأسئلة له وبعرض ما قاله مشحوت لسعيد، فقال إنه لا علاقة له بهذا، وقال المحامي: "إن ما قاله سعيد هو افتـــراء، وإن الغرض منه هو تشويه صورة محمود البحيري؛ خاصة بعـــد أن

ترشح أحمد لخوض الانتخابات أمام عمه، وتوقع مشحوت أن أحمد سوف يفوز بها". وقال المحامي إن مشحوت حين أخبر سعيد باسم محمود البحيري أقرنه باللواء على اعتبار أن سعيد لن يصدق أنه على علاقة باللواء دون وسيط، والجميع يعرف أن سيادته صديق شخصي لمحمود البحيري".

بعد طرح الضابط مجموعة من الأسئلة الأخرى، أنهى التحقيق وأخبر البحيري والمحامي أن أفراد العصابة الذين تم القبض عليهم أثناء حني المحصول نفوا أنهم يعرفون محمود البحيري، وأنهم لم يروا إلا مشحوت عدة مرات مع كبيرهم الذي أكد كلام مشحوت من قبل، وقال إن اتفاقه كان مع مشحوت، وإنه لم يرَ محمود إلا مرة واحدة عندما اتفق معه وأخذ منه المبلغ، وكان البحيري قد أنكر هذا الكلام أثناء التحقيق، وقد يفيد البحيري في الحصول على البراءة أنه قد أعطى التاجر المبلغ نقدًا وليس بشيك، وأن فارس قد قام بفتح خزينة منزله، وأخذ إيصال الأمانة الذي أخذه عمه على التاجر، وأخفاه بعيدًا عن أيدي رجال المباحث أثناء ذهابهم للتفتيش بعدما أخبرهم التاجر أن محمود البحيري قد أخذ منه إيصالًا بالمبلغ.

وبعد أن شُفي محمود البحيري وبعد أن أثبت المحامي الخاص به براءته أخبرهم الطبيب؛ أنه يستطيع الآن الانتقال إلى بيته، وعندها أصر فارس وأحمد أن يقيم في منزلهم حتى يستكمل علاجه الطبيعي ويستطيع أن يذهب إلى منزله سيرًا على قدميه، ووافق عمهم دون تردد، وكأنه يريد أن يذهب إلى ذلك المكان الذي قضى أخوه الوحيد أيامه الأخيرة فيه، وربما كانت موافقة البحيري على الذهاب معهم ليتأكد أنهم قد سامحوه على ما فعله معهم، ويريد أيضًا أن يؤكد للناس أن أبناء أخيه قد غفروا له، ويطلب منهم تغيير نظرتهم إليه، وبعدما أوصله أحمد إلى منزلهم تركه وعاد إلى القاهرة ليستكمل أعماله هناك، وحتى يحضر أول جلسة في مجلس الشعب.

ورغم أن القدر قد جمع بينه وبين عمه، وأصبح ارتباطه بنجلاء ممكنًا، إلا أنه أخذ قرارًا ولم يخبر أحدًا به، وهو أنه لن يتقدم لخطبة نجلاء حتى لا يعتقد عمه أنه وقف معه في أزمته المرضية من أجل هذا السبب أو من أجل أمواله.

وذات يوم عندما كان البحيري في منزله بمفرده مع نجلاء طلب منها الاتصال بالأستاذ علي المحامي، وبعد أن أتى الرجل أمره بأن يسجل له أوراق بيع وشراء لكل ما يملكه إلى أحمد

وفارس وطارق ونجلاء على أن تقسم الأملاك للذكر مثل حظ الأنثيين وكأنهم أبناؤه، ويريد أن يقسم ميراثه بينهم كما أمـــر القرآن الكريم؛ لعل ذلك يعوض ما أتلفه البحيري مـــن ثـــروة أخيه.

وبعد أن أنهى المحامي كل الإجراءات طلـــب مـــن نجـــلاء الاتصال بأحمد وفارس وطارق.

جاء الجميع وأخبرهم بما فعل، ثم طلب من فارس أن يحـــول الفيلا الخاصة به مستشفى كبيرة تسمى على اسم أخيه الدكتور ماجد، على أن يخصص فيها قسمًا للعلاج بالمجان، ثم نظـــر إلى أحمد وترجاه أن يتزوج نجلاء، وهو يقول له إنها ليس لها دخل في كل ما حدث، وإنه قد أجبرها على الزواج من أسامة الذي طلقها بمجرد أن وصل إلى كل ما يريد، وأخذ يسب أســـامة بعبارات جارحة، ويقول إنه رجل استغلالي ووصولي ولـــيس لديه أخلاق.

وهنا قاطعه أحمد ونجلاء معًا وأخذا يدافعان عـــن أســـامة، وفوجئ البحيري من تصرفهما، فقال له أحمد إن أسامة الوحيد الذي دفع ثمن خطأ غيره، وحكى له كل ما فعله أسامة معهما فتبسم الرجل، وكأنه فرح بأن نجلاء لم تكن إلا لأحمد كمـــا كان يحب أخوه، وطلب من أحمد أن يحضر أسامة إلى هنا حتى يعتذر له، ويطلب منه هو الآخر أن يسامحه.

وفي نفس اليوم جاء الخفير إلى أحمد، وأخبره بأن شخصًا ما ينتظره أمام المترل، وطلب منه أن يخبر الدكتور أحمد بالحضور بمفرده، وعلى الفور خرج أحمد من المترل، فوجد الرجل الذي ينتظره هو الأستاذ إسلام شقيق مغاوري، وكم كانت سعادته عندما رآه، وقال له الرجل إنه جاء ليبارك له على النجاح في انتخابات المجلس، وطلب منه أن يجلسا في مكتب الدكتور ماجد، وبعد أن شكره أحمد على ذلك سأله عن أبيه، وسأله إن كان قد رأى مغاوري أم لا، فقال له الرجل إنه لم يره منذ فترة، فقال له أحمد إنه سوف يرسل له ويحضره إلى هنا، فرفض الرجل ذلك فأصر أحمد على إحضاره، وهو يقول له إنه سوف يحضره دون أن يراه أحد.

وقام من مجلسه وذهب إلى باب الحجرة حتى يستدعي الخفير، وعندها قال له إسلام إنه لن يجده هناك، فقد رحل عن البلد منذ أسبوعين.

فوجئ أحمد بما قاله إسلام، وقال أحمد إنه لم يره بالفعل منذ انتهاء الانتخابات، وإنه لم يأتِ ليبارك له على نجاحه، ثم سأل إسلام عن سبب مغادرة مغاوري البلد، وهل عاد إلى الصعيد أم لا فطلب منه الجلوس.

بعد أن جلس أحمد أخبره إسلام أن ما قاله له عن قصة هروب مغاوري من الصعيد وسفره كان كذبًا، وطلب منه أن

يسامحه في ذلك، فسأله أحمد: "وما الذي جعلك تصطنع كل هذه القصة؟" رد عليه قائلًا: "لأن مغاوري ليس توأمًا لي، مغاوري هو أنا"!!

صمت أحمد؛ كأنه يستمع إلى ممثل بارع أو كاتب متمكن ينتظره حتى الانتهاء من قصته التي صدقها الجميع، فاستكمل إسلام (مغاوري) حديثه قائلًا إنه ضابط المباحث الذي جاء من الصعيد إلى هنا ليساعد رجال المباحث في القبض على تجار المخدرات، والذي استعان به رجال المباحث من هذا المكان حتى لا يتعرف عليه أحد، ذلك الشاب الذي ذهب به والده إلى الدكتور ماجد البحيري؛ لأنه يثق بنزاهته، وأخبره بكل القصة، وطلب منه مساعدته في مهمته؛ فأعطاه قاربًا للصيد، ومنزلًا بسيطًا بناءً على طلبه، وفي المكان الذي حدده حتى يعيش به وحتى يستطيع الاندماج وسط الجميع دون أن يشك به أحد.

وحتى يصبح بعيدًا عن شكوك تجار المخدرات في شخصيته، تم القبض عليه بتهمة تعاطي المخدرات، وتم الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر مع إيقاف التنفيذ، حتى إن الضابط الذي قبض عليه كان لا يعرف أن مغاوري ضابطًا مثله.

وقال له اسلام إنه هو الذي اكتشف الطريقة الجديدة في الزراعة في تلك القضية التي كان عمه متهمًا فيها، وقال لأحمد إنه يعلم أن محمود البحيري ليس بريئًا، وأن لديه دليل الإدانة،

لكنه اكتفى بما فعله الزمان معه، ثم قص له قصة الماكينة العجيبة، وأنه هو الذي قتل ذلك الرجل الذي حاول قتل فارس، ولم يرغب في إبلاغ الشرطة بذلك حتى لا يضطر إلى الإعلان عن شخصية ضابط المباحث التي ظل طوال السنوات الماضية يخفيها عن الجميع، وهو الذي أبلغ رجال الشرطة عن قطاع الطريق الذين حاولوا سرقة الأرز الذي اشتراه التاجر من فارس، وقال أيضًا إن الذي جعله يأتي هذا اليوم ويخبر أحمد بكل ذلك أنه قد انتهت مهمته، وسوف يعود إلى بلده، وأنه أراد أن يترك هذه القرية بعد أن يرى أول مكان وأول بيت قد دخله منذ خمسة عشر عامًا؛ ليكون هو آخر منزل يدخله قبل أن يودع هذه القرية التي أحب أهلها وأحبه أهلها، والتي كان أحيانًا ينسى مهمته ويشعر أنه واحدًا منهم.

وعندها انتهى مغاوري من سرد قصته التي لا يعلمها إلا رؤساؤه في العمل وأحمد البحيري، عضو مجلس الشعب وابن ذلك الرجل العظيم الذي كان واحدًا من الذين ساعدوه في إتمام مهمته بنجاح، طلب من أحمد أن يحضر أسامة داود؛ حتى يودعه ويعرفه من يكون مغاوري صديقهم الأمين الذي كان شاهدًا على صداقتهما الطاهرة، وقام أحمد بالاتصال بأسامة وأحضره.

عندما جاء أسامة سلم على إسلام، وهو يناديه "آكـــرم"، كأنه يعرف كل قصته، قال له إنه قد علم بكل شـــيء أثنـــاء تحقيقه في القضية مع سعيد الأعرج، وهو يسأل نفسه من الذي وصل إلى خطة الزراعة هذه، والتي يصعب على رجال المباحث اكتشافها، وقال لهما إنه اثناء استجوابه لسعيد سأله مـــن رأى هذه الماكينة غير أفراد العصابة الذين أحضروها، فقال له إنه لم يرها أحد إلا مغاوري الصياد الذي ذهب ليتناول معه الشاي؛ وعندها شك أسامة في مغاوري، وذهب إليه في اليـــوم التـــالي وجلس معه، وقام بالتقاط بعض الصور له بكـــاميرا تليفونـــه المحمول، ثم أعطاها لضابط المباحـــث، وطلـــب منـــه بعـــض التحريات عن هذا الرجل، ربما تفيد الضابط في القضية.

وكان ذلك أثناء دخول مأمور المركز إلى حجـــرة ضـــابط المباحث، وعندما رأى الصورة طلب من الـــضابط الـــذهاب وأخبر أسامة أن هذا الشخص هو أكرم السقا دفعته في كليـــة الشرطة.

أخذ الثلاثة يضحكون على هذه القصة التي تـــشبه لعبـــة "عسكر وحرامية" التي كان يلعبونها وهم أطفـــال، والـــتي لا يعرف فيها اللصوص من الـــضباط، ثم اســـتأذنهم آكـــرم في الذهاب، فخرج أحمد وأسامة معـــه إلى عـــشته الـــتي أراد أن يودعها قبل ذهابه والتي شهدت أصعب أيام عمره.

ودعهم أكرم على وعد بالتواصل دائمًا، وانطلق أحمد ومعه أسامة إلى متزله ليراه عمه ويشكره على ما فعل مع ابنته وابـــن أخيه.

مر شهر وجاء اليوم الذي طال انتظاره، يوم زفاف أحمد ونجلاء، ذلك اليوم الذي تأخر أكثر من عشرة أعوام، والذي لم يفقد أحدهما الأمل في مجيئه، رغم مرور كل هذه السنوات، وكأن فارس هو الآخر كان ينتظر هذا اليوم حتى يتم زواجه هو الآخر من سماح، واتفق الجميع على يوم واحد يجمع قصص الحب التي كتبت لها الحياة من جديد.

مر عام على هذا اليوم، وجاء أول أحفاد عائلة البحيري، "ماجد"، الذي اختار اسمه جده محمود، وكأنه يطلب منه أن يسامحه بعد وفاته، وبعدها بعدة أشهر وُلد لفارس هو الآخر طفلًا أسماه محمود؛ حتى يؤكد لعمه أنه قد سامحه على ما فعله، ويطلب منه هو الآخر أن يسامحه على ما فعله معه...

ومرت سنوات أخرى، ومات محمود البحيري؛ منتظرًا أن يسامحه الجميع، وانتقل إلى مثواه الأخير... ذهب إلى حياة أخرى، حياة أبدية يسودها العدل، فليس فيها من يسرق حقوق الغير، وليس فيها من المناصب التي تُقدر بما يملك الشخص من أموال أو مكانة اجتماعية أو سياسية، لكنها قد تشابهها في أن الناس فيها درجات، لكن درجاتهم فيها بناءً على أعمالهم، وما قدموه من أعمال صالحة في الدنيا التي تعتبر مرحلة إعداد وتأهيل لهذه الحياة الأبدية.

"فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" [آل عمران: ١٥٨]

صدق الله العظيم

هذه الرواية ليس لها أي علاقة بالواقع، وأن كل أحداثها من الخيال، وأن أي تشابه في الأسماء أو الأماكن أو الشخصيات أو الأحداث هي من وحي خياله..

